

## مقدمة :

للغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة؛ فهي الركن الأول في عملية التفكير، وهي وعاء المعرفة؛ والوسيلة الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب، وبثّ المشاعر والأحاسيس، وهي الترسانة التي تحمي الأمة وتحفظ هويتها وكيانها ووجودها، وتحميها من الضياع والذوبان في الحضارات والأمم الأخرى؛ وهذا القدر من أهمية اللغة مشترك بين بني الإنسان وبين اللغات كافة في كل مكان وزمان؛ إلا أنّ اللغة العربية امتازت عن سائر لغات البشر بأنها لغة الحياة بكل معانيها، وهي لغة الضاد؛ فمخرج الحرف لم تعرفه أي لغة في العالم سواها، وهي اللغة التي شاء الله عز وجل أن تكون لغة كتابه الكريم الذي خاطب به البشرية جمعاء على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبناءً على هذا، ليس العرب وحدهم هم المطالبون بالحفاظ على العربية وتعلمها؛ وإنما المسلمون جميعاً مطالبون بذلك، كونها لغة الدين ومفتاح الأصولين العظيمين؛ الكتاب والسنة، وليس تعلم اللغة العربية والاهتمام بها قضية تعليمية فحسب؛ وإنما هو قضية عقدية، ورسالة سامية نعتز بها.

إن الحديث عما تعانيه اللغة العربية من ضعف تحصيلها لدى المتعلمين؛ المتخصصين منهم في اللغة تحديداً، يجعل الكثير من الأحكام المقامة حول اللغة العربية تحتاج إلى إعادة نظر، وكبير تتخل لما هو ضمن واقعها في الاستعمال في أمة العرب، وبين ما هو حلم منشود التبس بالحاضر وجعل الحلم حقيقة يحتكم إليها. وليس هذا القول

معناه لوم الحالين بغد أفضل للغة العربية بقدر ما هو سؤال كيف يمكن للغة العربية أن تعود إلى سابق عزها؛ لغة علم ولغة دين ولغة حضارة؟

و نحاول من خلال مذكرتنا ان نتعرف على مفهوم اللغة و اللسان و دورهما في التوظيف المصطلحي و التأصيل اللغوي و في الجزء الثاني منه سندرس التعدد اللغوي و مظاهره في الجزائر و نطرح عدة إشكالات و نحاول الاجابة عنها كالعلاقة بين العربية الفصحى و العامية و الثنائية اللغوية و الازدواجية اللغوية.

الإهداء

- 03.....مقدمة
- 06.....الفصل الأول : اللغة و اللسان في التوظيف المصطلحي و التأصيل اللغوي
- 06.....المبحث الأول: بين اللغة و اللسان : ضبط المفهوم و فصل في التسمية
- 06.....المطلب الأول : في المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ"الغة"
- 09.....المطلب الثاني : قول في أصل المصطلح "لغة" في اللغة العربية
- 10.....المطلب الثالث: في المعنى اللغوي و الاصطلاحي لـ"الغة" عند اللغويين العرب القدامى
- 11.....المطلب الرابع : المدارس اللسانية و إضافات في مفهوم "اللغة:"
- 16.....المبحث الثاني : في المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ"اللسان"
- 17.....المطلب الأول: في المعنى الاصطلاحي لـ"اللسان" في التراث اللغوي العربي
- 19.....المطلب الثاني : "اللغة" و"اللسان" في الدرس اللغوي العربي القديم
- 23.....المطلب 3 "اللسان" و"اللغة" في الدرس اللساني العربي المعاصر
- 27.....المطلب 4 : "اللغة" و"اللسان" عند ابن خلدون
- 30.....المبحث الثالث : فصل في مصطلحي "اللسان" و"اللغة"
- 30.....المطلب الأول : "اللسان" و"اللغة": تمايز أم تطابق؟

- المطلب 2 : بين langue و langage عند دي سوسور.....31
- المطلب 3 : هل عدم استعمال القرآن والحديث لمصطلح "لغة" يبعده عن التداول؟.....35
- الفصل الثاني : التعدد اللغوي بين الماهية و المظاهر.....38
- المبحث الأول : ماهية التعدد اللغوي.....38
- المطلب الأول: الأحاديّة اللغويّة و التعدّد اللغويّ .....38
- المطلب الثاني : الازدواجيّة والثنائيّة.....39
- المطلب الثالث : الازدواجيّة اللغويّة.....39
- المبحث الثاني : واقع اللغة العربية في الجزائر.....41
- المطلب الأول : الصراع بين اللغة العربية الفصحى والفرنسية .....45
- المطلب الثاني : الصراع بين اللغة العربية الفصحى و العامية .....48
- المبحث الثالث : التعليمية في الجزائر و إنعكاساتها للغة العربية.....53
- المطلب الأول : التعليمية ( النشأة و التطور).....53
- المطلب الثاني : عناصر العملية التعليمية.....55
- المطلب الثالث : المناهج التعليمية عند ابن خلدون.....56

## الفصل الأول : اللغة و اللسان في التوظيف المصطلحي و التأصيل اللغوي

### المبحث الأول: بين اللغة و اللسان : ضبط المفهوم و فصل في التسمية

#### المطلب الأول : في المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ"لغة"

في مادة "لغة" في معاجم اللغة العربية يورد معجم العين " : لغا ( لغو ) اللغة واللغات و[ اللغون ] اختلاف الكلام في معنى واحد، ولغا يلغو [لغوا] يعني اختلاط الكلام في الباطل...، ألغيت هذه الكلمة : أي رأيتها باطلا، وفضلا في الكلام وحشوا. <sup>1</sup> فالغة " في أصلها اللغوي عند الخليل من الفعل لغا، وهو الأصل الذي يجعل له الخليل في معجمه معنيين؛ الأول استقلت به "لغة"، وجمعها عنده لغات ولغون وهو اختلاف الكلام . ليكون معناها بذلك لا يفهم بعيدا عن كونه إشارة إلى اختلاف اللغات البشرية؛ فهذا الاختلاف حسب الخليل يجعل للشيء الواحد مسميات بعدد الألسن المختلفة .مع الإشارة إلى أن اللغة عنده هي بمعنى اللهجة؛ ففي معجمه إحالات إلى اللهجات العربية، التي كان يصطلح عليها لغة وليس لهجة . <sup>2</sup> و هو الاستعمال الذي يوجد عند عدد من اللغويين القدامى من مثل سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص . <sup>3</sup> ليسجل أن "لغة" قد حملت في أحد معانيها معنى اللهجة أما المعنى الثاني فهو اختلاط الكلام بالباطل ، بما يعد إسقاطا له في

<sup>1</sup> الخليل :كتاب العين، تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، 4 1 2003 92

<sup>2</sup> الخليل :كتاب العين 3 104

<sup>3</sup> تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4 270-261-206 0 0222 0 تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ج 1 2 2003 372 - 348 - 324

خانة الكلام المرفوض . وهو أحد معاني ثلاثة حملها المصدر لغو من الأصل لغا في القرآن الكريم، وهي معاني تؤكد استعمال هذا المصدر للدلالة على الكلام المرفوض لاختلاطه بالباطل.<sup>1</sup>

و لا يبدو صاحب الصحاح بالموكد لهذا الأصل رغم تأصيل الكلمة "لغة" عنده؛ فيقول [لغا] يلغو لغوا، أي قال باطلا ونباح الكلب لغو أيضا .واللغا :الصوت مثل الوعي، ويقال أيضا :لغي به يلغى لغا، أي لهج به، اللغة أصلها لغي أو لغو والهاء عوض، وجمعها لغا مثل برة و برى ولغات أيضا<sup>2</sup> .إن الجوهري بشرحه السابق لكلمة "لغة" قد ألحقها بكلمة "لغو" من الفعل "لغا"، وجعل لها تخريجا صرفيا يشرح تحول الحرف الناقص من الياء في لغي أو الواو في لغو ، إلى الهاء، التي هي عنده عوض . والحقيقة أن الهاء في "لغة" ، قد لا تحتل هذا التأويل؛ فقد لا تكون عوضا عن حرف العلة بل هي فيها علامة تأنيث لا غير.

وفي لسان العرب يبدو ابن منظور فيقول " :لغا :اللغو واللغا :السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا على نفع... اللغو واللغا واللغوي ما كان من الكلام غير معقود عليه اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا :إذا تكلم، لغا :إذا تكلم بالمطرح من القول...اللغة اللغا ، اللسن و حدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن

أغراضهم اللغا :الصوت مثل الوغى<sup>1</sup> و واضح جدا أن ابن منظور قد كرر ما قاله ابن جنى في اللغة أصلا وصيغة وحدا .وضمن هذا التكرار استحضار لما قاله الخليل في تعريفه السابق للغة إنها اختلاف الكلام خصت به تسمية اللسان عند ابن منظور؛ فقد كان لهذه التسمية تعريف في معجمه؛ فكانت " :اللسن : " الكلام واللغة... اللسن : الفصاحة ،<sup>2</sup> ليتأكد من جديد أن "اللغة" في الاستعمال العربي تختلف اختلافا كليا في المعنى عن اللغو أو اللغا، كاختلاف السقط من الكلام وغيره - المعنى الذي يحمله اللغو- عن الفصاحة - المعنى الذي يحمله اللسن الذي هو اللغة.

وقد حاول بعض اللغويين تبرير التعارض الموجود في معاني "لغة" و"لغو" أو "لغا" بإيجاد تخريج للسقط الذي لا يحتمله تعريف "لغة" لكنه كان يتكرر في تعريف اللغو؛ فكان أن برر صاحب الكليات ملازمة اللغو لمعنى السقط من الكلام، كون المراد بالسقط ليس مرذول الكلام، بل لكونه شيئا ملازما للحياة البشرية؛ فقال " :ومصدر اللغو هو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به، وحذفت الواو تخفيفا جمعه لغات، ولغون، ولغى، والفعل لغا يلغو لغوا إذا تكلم أو من لغى به لغا "كرضى" إذا لهج به.<sup>3</sup>

1 : 37 1

2 : 197

3 :الكليات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ج<sup>3</sup> 4 2 1982 170

## المطلب الثاني : قول في أصل المصطلح "لغة" في اللغة العربية

حاول بعض اللغويين المتحمسين لتوظيف المصطلح "لسان" بدل "لغة" تبرير هذا التوظيف بحجة أن المصطلح "لغة" مصطلح دخيل أو معرب في اللغة العربية، حجتهم في ذلك عدم وجود أصل لها في اللغة العربية، وهو الأري الذي قال به عمار ساسي في كتابه اللسان العربي وقضايا العصر؛ فقد تساءل بعد مسح للكلمة في المعاجم اللغوية العربية: "لم نعثر على أصالة المصطلح (لغة) في المعاجم العربية كالصاحح ولسان العرب .والسؤال بعد هذا لماذا لم توظفه المعاجم العربية بالأصالة كما وظفت مصطلحات أخرى؟ هل لكونه ليكون أصل الكلمة عنده هو الكلمة اليونانية لوغوس؛ ففيما نقله عن محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية عن اللغة؛ الذي قال: "أما كلمة لغة فترجع إلى أصل غير سامي إنها من الكلمة اليونانية logos و معناها كلمة كلام لغة وقد دخلت الكلمة اللغة العربية في وقت مبكر." يقول عمار ساسي في كتابه السابق الذكر: "اللغة " مصطلح دخيل على اللغة العربية وهي تعني الكلمة "logos" لم يكن عمار ساسي الوحيد في مشاركة فهمي الحجازي هذا الرأي؛ فهو التأصيل الذي يتناقله بعض اللغويين المعاصرين من مثل صاحب "معجم عجائب اللغة" الذي يقول: "اللغة اللفظ الموضوع للمعنى...ولا أستبعد أن تكون مأخوذة من (لوغس) اليونانية ومعناها "كلمة" .

### المطلب الثالث: في المعنى اللغوي و الاصطلاحي لـ"لغة" عند اللغويين العرب القدامى

عند تمنعنا جيدا في مصطلح اللغة كمفهوم عند استعمالات القدامى نجد بأنه لم يخرج عن

مفهوم واحد بل تجلى مفاهيم ثلاثة؛ هي:

- الأول بمعنى الحرف؛ وهو المؤول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "نزل القرآن

على سبعة أحرف، كلها شاف فاقروا كما علمتم". وقد فسرت الأحرف باللغات

- الثاني بمعنى اللهجة، وهو ما تكرر عند عدد من المعجميين في معاجمهم، وعند عدد من

اللغويين في كتبهم؛ ففي أول معجم عربي كان الخليل قد وظف اللغة بمعنى اللهجة وهو

الاستعمال الذي كان منه في معجم العين، وصاحبه في كتبه الأخرى، فكان، منه عبارته

الشهيرة: "الشعراء أمارء الكلام... ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق"، المعنى،

وتقييده، ومن تصريف اللفظ، ومد المقصور، وقصر الممدود، والجمع بين لغاته ولن يكون

معنى الجمع بين لغاته إشارة إلى التعدد اللغوي في القصيدة بالمعنى المعاصر للمصطلح؛

لأنه لن يخرج عن كونه إشارة إلى تعدد اللهجات في العمل الشعري الواحد . ومن

مثل هذا الاستعمال ما يوجد عند عدد من اللغويين القدامى من مثل سيبويه في الكتاب،

وابن جني في الخصائص.

- الثالث بمعنى الكلام؛ بمطلق الكلام عربيا كان أو أعجميا .وهو ما حاولت المعاجم اللغوية المشار إليها في التأصيل اللغوي للغة "التأكيد عليه في معنى "لغة . " ومن الطريف أن المفهومين الأخيرين هما ما حاول الخليل في معجمه أن يجمعهما في عبارة "اللغة واللغات و[اللغون :] اختلاف الكلام في معنى واحد و هو الاختلاف القائم في لهجات لغة/لسان من اللغات/الألسن في مرتبة أولى-لاسيما وقد أخذت اللهجة معنى اللغة/اللسان-، وهو اختلاف في مستويات لغوية/لسانية بعينها، عادة ما تكون مقارنة مع الاختلاف الكامل أو التام مقارنة مع الاختلاف القائم بين اللغات/الألسن، لاسيما ما انتمى منها إلى أصول مختلفة.

وفي مرتبة ثانية هو اختلاف اللغات/الألسن الذي قد لا ،باختلاف الأجناس البشرية، مادام الاختلاف قد حدده في تعريفه بالمعنى الواحد يفهم خارج المدلول من الكلمة، والمفهوم من المصطلح، ليكون الاختلاف اختلافا في الدال في الكلمات، واختلافا في التسمية في المصطلحات.

**المطلب الرابع : المدارس اللسانية و إضافات في مفهوم "اللغة":**

في قاموس اللسانيات وعلوم اللسان لجون دبوا تأخذ "اللغة" التعريف الذي تكاد المعاجم لغوية ومتخصصة مجمعة عليه وهو تعريف دي سوسور الشهير؛ ف"بالمعنى الأكثر تداولاً، اللغة وسيلة للتواصل، نظام من الرموز الصوتية الخاصة لأعضاء من مجتمع واحد وهو

التعريف ذاته في قاموس المعجمية الفرنسية": "اللغة" هي نظام من الرموز الشفوية والخطية التي تسمح باستعمالها الخاص من طرف أعضاء مجتمع ما، وتستخدم كأداة للتواصل. ويبقى هذا التعريف مرتحلاً بين المعاجم اللغوية والمعاجم المتخصصة، ومكرر لعبارة "نظام من العلامات". ومؤكداً على البعد الاجتماعي للغة. وهذا ما يؤكد دوجلاس بارون في كتابه أسس تعلم اللغة وتعليمها الذي أجرى فيه مسحا لمعاجم لغته بحثاً عن تعريف "لغة" فيها؛ فكانت جميعها لا تعدو أن تكون مرادة ومكررة لعبارة دي سوسور السابقة الذكر.

إن التحديد الذي يأخذه مفهوم "اللغة" مرتبط بالجديد الذي تضيفه المدارس اللسانية، وهو التحديد الذي يمكن حصره استناداً على الإضافة التي يأخذها المفهوم في مجموعة من المدارس هي :

**المدرسة السوسورية: اللغة نظام :** يعاين دي سوسور اللغة من خلال تمييزه بين "اللغة" *langue* والكلام "*parole*" فاللغة عنده نظام من العلامات؛ نظام لا يجيزه إلا نسقه الخاص. ولا يفهم هذا النظام بالنسبة له دون وجوب دراسة الظواهر غير اللغوية مثل التاريخ

والمجتمع، لكن من الخطأ الزعم بأنه لا يمكن أن يعرف التكوين الكلي الداخلي للغة بدونها. واللغة منتج يحفظه الفرد سلبيا ولا تحمل القصدية والتفكير ولا تتدخل إلا بغرض تفعيل الترتيب الكلامي واللغوي المطلوب. بينما الكلام هو تنشيط النظام اللغوي من خلال الفرد؛ أي في الاستعمال المحدد ، للغة تلفظا أو كتابة؛ فالكلام لا يتحقق بفعل الجماعة المتكلمة

بوصفها متكلما فاعلا واحدا بل يتحقق بطريقة فردية من طرف المتكلم/المستمع. وينتج عنهما اللسان *langue* الذي يتميز بعدم تجانسه؛ لأنه يتشكل بفعل كلام الأفراد، على عكس اللغة التي تتميز بكونها ذات طبيعة متجانسة؛ فهي نظام من العلامات، لا يوجد فيها شيء أهم من اتحاد المعنى بالصورة السمعية، لأن جزأي العلامة نفسيان:

فاللغة "بهذا المفهوم- هي ما يخزنه المتكلم/المستمع من علامات وقوانين ضابطة لترتيب هذه العلامات أثناء الكلام، والكلام يتميز عن اللغة باعتباره تجسدا للغة في استعمال الفرد. ليكون اللسان هو ما يجسده الأفراد المتكلمون بلغة ما. ومن ثم وجود اللغة شرط للكلام. وفي ذلك يقول دي سوسور " :إذا استطعنا أن نطال مجموع الصور الكلامية المخزنة عند كل فرد، سنلمس الارتباط الاجتماعي المكون للغة. إنه كنز موضوع عن طريق ممارسة الأفراد المنتمين إلى مجتمع واحد للكلام، ففي كل عقل جديد يوجد افتراضيا نظام نحوي، أو أكثر تحديدا في عقول مجموعة من الأفراد؛ لأن اللغة ليست كاملة عند أي من الافراد ، إنها لا توجد كاملة إلا في الكتلة .

في التفريق بين اللغة والكلام، يرسم دي سوسور منذ البداية المعالم الاجتماعية للغة، وهي معالم تربطها بالمجتمع لكنها في الآن نفسه تبعدها عن التداخل مع "اللسان"؛ يقول في كتابه

السابق الذكر ما هي اللغة؟ langue بالنسبة لنا إنها لا تختلط باللسان langage إنها ليست سوى جزء محدد، ضروري، وحقيقي؛ إنها حينها منتوج اجتماعي لكلية الكلام ومجموع المشاركات الضرورية، المتبناة من طرف هذه المجموعة للسماح بتطبيق هذه الكلية عند الفرد... الكلام متعدد الأشكال ... ينتمي إلى الاختصاص الفردي و الاختصاص الاجتماعي؛ إنه لا يسمح بتصنيفه في زمرة أفعال الإنسان، لأنه لا يمكن معرفة كيفية إخراج وحدته. وعلى العكس من ذلك اللغة كل بداخلنا ومعيار للتصنيف . بمجرد أن نعطيها مكانتها في أفعال الكلام ندخل ترتيبا طبيعيا في كل لا يقبل أي تصنيف . فاللغة "حسبه تتمايز عن "اللسان" بقدرتها على التصنيف والانتظام، وهي الفكرة الأساسية التي وجهت تعريفها باعتبارها نظاما من العلامات، على عكس "اللسان" الذي هو تجسيد لـ"اللغة" من طرف الفرد والمجتمع. إن تفريق دي سوسور بين "اللغة" و"الكلام" تفريق لما هو فردي عما هو اجتماعي، فاللغة "اجتماعية مشتركة بين الجماعة المتكلمة، فهي بذلك جوهرية. بينما "الكلام" فردي، إنه بصمة المتكلم في استعمال "اللغة"؛ وبذلك فهو عرضي ومتغير بتغير المتكلم، لكن يبقى داخل كل كلام وجود لـ"اللغة".

### المدرسة البنيوية:

تجمع الاتجاهات المختلفة للسانيات البنيوية على أن "اللغة" نظام علائقي وعلى أنها بنية داخلية، وهو المفهوم المنبني على ما وضعه دي سوسور؛ فاللغة "في التصور البنيوي نظام من العلاقات المحضة. ويمكن فهم النظام وعلاقاته بفهم الهرمية التالية: النظام مشتمل على الوظيفة والبنية. لتكون البنية هي نظامية عناصر كم ما، بينما الوظيفة هي نمط تراكم العناصر و هو المفهوم الذي أكدته مدرسة بارغ التي كانت "اللغة" فيها نظاما لوسائل التعبير المناسبة لهدف ما. ونتج عن ذلك عدم إمكانية النظر إلى أي عنصر في "اللغة" خارج النظام. وهو المفهوم الذي أدى إلى وجهة النظر الوظيفية. فبالنسبة لدي سوسور ومدرسة بارغ وللبنويين الأمريكيين "اللغة" نظام من العلاقات؛ حيث العناصر الأصوات والكلمات لا تمتلك أي قيمة بعيدا عن العلاقات التي تربط هذه العناصر؛ فكل لغة "تمتلك هذا النظام النحوي المشترك بين مجموع المتكلمين بها، وهذا النظام هو ما يسميه دي سوسور اللغة ويقدم تنوعات فردية تكون حسبه- الكلام

وكما حاول دي سوسور التأكيد على البعد الاجتماعي للغة، ومن ثم تأكيده على إمكانية الاستعانة بما هو غير لغوي لدارسة اللغة دون أن يكون هو أساس الدارسة، تؤكد مدرسة

بارغ على أن اللغة دائمة الارتباط بالواقع غير اللغوي؛ ويقصد بذلك أن نظام اللغة لا يمكن أن يوصف دون صلة بالوظائف، خاصة التواصلية منها.

#### المبحث الثاني : في المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ"اللسان"

إن تفحصنا و تمعنى جيدا في تعريف "اللسان" في معاجم اللغة العربية -التراثية المعاصرة فإنها تحدد له معنيين؛ أحدهما حسي هو معنى العضو أو الجارحة . و الثاني مجرد يجعله مطابقا للكلام؛ فاللسان "في أصله اللغوي من الجذر (ل س ن) وهو الجذر الذي يحمله صاحب المقاييس تعريفا فريدا؛ فيقول " :اللام والسين والنون، أصل صحيح واحد، يدل على طول لطيف غير بائن، في عضو أو غيره . من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكر والجمع ألسن، فإذا كثر فهي الألسنة...واللسن : جودة اللسان والفصاحة واللسن :اللغة، يقال : لكل قوم لسن أي : لغة و بالرغم من كون الشرح بكلمة معروف في هذا التعريف. مما تعييه الصناعة المعجمية المعاصرة، فإن كلمة العضو السابقة عليها لا تجعل الفهم بعيدا عن عضو الكلام . وهو التعريف الذي تأخذه هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية، القديمة منها

والحديثه ففي معجم الخليل يأخذ "اللسان" التعريف التالي "اللسان ما ينطق... اللسان ،  
الكلام وللمعنى الثاني يوظف ابن منظور بدل "اللسان" اللسن" فيقول : اللسن بكسر اللام  
اللغة... لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها ... رجل لسن أي بين اللسن إذا كان ذا بيان

وفصاحة اللسن الكلام واللغة. ليكون "اللسان" عنده بهذا المعنى محددًا بوظيفته اللغوية؛  
فإذا كان "لسان" أو كلام الفرد؛ يقول في ذلك ، "اللسان: جارحة الكلام... ابن سيده واللسان  
المقول... واللسان الرسالة أما إذا كان مؤنثًا فهو بمعنى اللغة؛ كلمة وكلامًا؛ أي بمطلق  
الكلام البشري؛ يقول في ذلك" : وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ ... و إن أردت  
باللسان اللغة" ابن سيده :واللسان اللغة لتكون المعاجم اللغوية المعاصرة مكررة في مادة  
"لسان" ما قالتها المعاجم التاريخية لاسيما منها معجم لسان العرب؛ ففي المعجم الوسيط "اللسان  
"هو العضو في قوله" :جسم مستطيل متحرك، يكون في الفم، ويصلح للتذوق والبلع والنطق  
(مذكر وقد يؤنث .)وبمعنى اللغة/اللسان في قوله" اللغة ثم هو مشترك مع ما تبثه له  
المعاجم اللغوية الفرنسية؛ "شريط ضيق من اليابس يمتد في البحر...ولسان الحذاء الهنة  
الناشئة تحت فتحة فوق ظهر القدم. والطريف في شأن هذه المعاني التي يحملها "اللسان  
"كونها مشتركة بين اللغتين العربية والفرنسية؛ فقد كان في الفرنسية.

المطلب الأول: في المعنى الاصطلاحي لـ"اللسان" في التراث اللغوي العربي

إن "اللسان" في الاصطلاح هو الكلام، وهو اللغة، مادامت المعاجم اللغوية التاريخية والمعاصرة على حد سواء قد جعلته كذلك . ودلالته على الكلام وعلى اللغة قد يسمح بالقول

"اللغة هي الكلام". والحقيقة أنه تعريف بسيط وواضح لـ"لغة"؛ فهو التعريف/النتيجة التي يمكن أن يأخذها شكل التعدي الرياضي، أو الاستدلال الفلسفي :

اللسان = الكلام

اللسان = اللغة

الكلام = اللغة

مقدمة أولى: اللسان هو الكلام

مقدمة ثانية: اللسان هو اللغة

نتيجة: الكلام هو اللغة

بالتعدي الرياضي

بالاستدلال الفلسفي

ومثل هذا الاستنتاج على بساطته، يصبح معقدا حين يكون الأمر متعلقا ؛

بالمصطلح فمصطلح "اللسان" حسب الدلالات السابقة، وحسب بعض الترجمات - كما

استدل عليه في مكان سابق من هذا البحث- قد جعل مقابلا لـ *langue* بمعنيها على

العضو وعلى اللغة . وهو التقابل الذي احتج القائلون به لإبعاد "لغة" بوصفها مصطلحا وبتوظيف ، وتحميل "اللسان" دور حمل مفهومها؛ تأسيا بالتوظيف القرآني لهذا المصطلح بعض اللغويين القدامى له .

## المطلب الثاني : "اللغة" و"اللسان" في الدرس اللغوي العربي القديم

إنما ما يثير الدهشة والغرابة في هذا المجال أو المميز بالتحديد هو أنه هناك من اللسانيين العرب المعاصرين من يسعون إلى طمس مصطلح اللغة و إزالته عن متون الكتابات اللسانية المعاصرة بالعربية ، وتعويضه بمصطلح "اللسان"- محتجين على ذلك ببعض الاستعمالات للغويين القدامى الذين وظفوا "لسان" بدل "اللغة"- كونهم بهذه الحجة تحديداً يكونون قد أغفلوا حقيقة تاريخية تخص المصطلحين، لا تفتأ الكتب اللغوية التراثية تكشف عنها في موادها و متونها؛ و هي مزاجية بعض اللغويين -إن لم يقل معظمهم- في الاستعمال بين المصطلحين "لغة" و"لسان" للتعبير عن المعنى نفسه \* بل قد يبدو الخليل في عدم شرحه لـ"اللسان بـ"اللغة"، والاكتفاء بالكلام، على وعي بالاختلاف الكامن بين اللغة والكلام؛ فـ"اللغة" عنده ليست الكلام، بل كانت اختلاف الكلام في المعنى الواحد. و"اللسان" ليس "اللغة" بل هو الكلام . مما قد يفهم أن الخليل لا يفهم "الكلام" على أنه "اللغة"، بينما "اللسان" هو "الكلام" . فـ"اللغة" عنده ليست الكلام وحسب؛ انها ما يمكن أن يجعلك تميز بين اختلاف الكلام في المعنى الواحد؛ الاختلاف الذي قد لا يفهم بعيداً عن النظام المرتبط بالمجتمع، وما تواضع عليه من قواعد ضابطة؛ لقبول الكلام أو رفضه، انطلاقاً من تحقيقه

---

\* ليس هناك من حجة أكثر تأكيداً لوجود المصطلحين معا في اللغة العربية من كونهما قد كانا ضمن مادة الجمع اللغوي التي عرفتھا اللغة بعد اللحن الذي أصابها وحرى هنا الإشارة إلى أن مصطلح " " قد أثبتته المعاجم التراثية العربية مصطلحاً أصيلاً في متن البحث معجم واحد نفى ذلك أو شكك في الأصل العربي للمصطلح رغم عدم وضوح تحول معنى الأصل من اللغو إلى

لشروط الإيفهام، الذي هو في اللغة العربية الإبانة والإفصاح . و إذا قيل إن "اللغة" عنده قد حملت معنى اللهجة، أمكن القول بعدها إن اختلاف اللهجات في نطق الكلمات بما يحيل على الاختلافات الصوتية هو وعي بالطبيعة الصوتية للغة/اللسان وتأكيد على دور هذه الطبيعة في تمايز اللغات/اللسان وتنوعها . وهو اتفاق مع ما يمليه الدرس اللساني المعاصر، وسبق أن نبه إليه الدرس اللغوي العربي القديم حين جعل ابن جني حد اللغة أنها أصوات .

إلى جانب الخليل في استعماله الموضح لـ"لغة"، يسجل على سيبويه وابن جني استعمالهما للمصطلحين مع بالمعنى نفسه .وينضم إليهما في هذا التوظيف ابن خلدون في مقدمته ؛ فيستخدم المصطلحين، وينتقل بينهما؛ حسب ما تعكسه مقدمته التي حوت فصولا، شكل "اللسان" عنصرا من عنوانها فكانت: فصل في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي، وفصل في علوم اللسان العربي، وفصل في تعلم اللسان المصري، وفصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية مستغنية عنها في التعليم، وفصل في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان : حصولها له أصعب وأعسر .

أما عن مفهوم "اللسان" عند ابن خلدون فقد وظفه بمعنيين عضو الكلام؛ فقال: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تكون متكررة في العضو الفاعل لها وهو "اللسان" و"اللغة"<sup>1</sup> عنده لا تخرج عن المفهوم الذي استقر لها عند من سبقوه، حتى "ليتبدي هذا المفهوم إعادة صياغة لحد ابن جني؛ حيث يقول: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".<sup>2</sup> ويقول أيضا: "اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد"<sup>3</sup> فاللسان "هنا ليس سوى عضو الكلام الذي يجسد النوع المفوظ من اللغة لتتكفل اليد بالنوع المكتوب. ويعد هذا انتباها من ابن خلدون أن للغة مظهران؛ مظهر صوتي عضوه اللسان، وأداته الأصوات. ومظهر خطي عضوه اليد وأداته الحروف. موافق لما يذكره الدرس اللساني " المعاصر ويخص به "اللغة/اللسان".

وقد جعل ابن خلدون هذين المظهرين من عناصر تعريف "اللغة" عنده؛ يقول في ذلك: "اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد". اللسان " هنا هو الجارحة؛ أي عضو الكلام، بدليل توظيفه لليد عضو الكتابة أو الخط في العبارة نفسها. وواضح من هذا القول، وكذا الأقوال السابقة عليه لابن خلدون أن "اللسان" فيها هو بمعنى

الجارحة؛ أي عضو النطق . و المفهوم الثاني لـ"اللسان "بمعنى نظام العلامات، هو ما يمكن استنتاجه من أقوال كثيرة لابن خلدون؛ من مثل قوله " :اعلم أن ملكة اللسان المضري، لهذا العهد قد ذهبت وفسدت . ولغة أهل الجيل كلهم مغاير للغة مضر التي نزل بها القرآن و إنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها <sup>1</sup>. ويتضح ويوضح ابن خلدون استعماله لـ"اللسان "و"لغة "بالمعنى " نفسه، في قوله " :لغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهما متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه .وهذا معنى " .

وبعد هذا يمكن القول إن اللغويين القدامى قد استخدموا مصطلح "اللسان بالاستعمال الذي تأخذه *langue* " في اللغة الفرنسية " ؛ فهو عضو الكلام اللسان وهو "اللغة " . ولم يتخرج القدماء من اللغويين العرب من استخدام المصطلحين جنباً إلى جنب، أو بالتناوب بينهما كما هو واقع في مقدمة ابن خلدون مثلاً؛ فالمقدمة إلى جانب استعمالها لمصطلح "اللسان "في عناوين الفصول، استعملت مصطلح "اللغة "في المتن وفي عناوين الفصول؛ فتجد فيها "اللغة "كثيرة الحضور في المتن، كما تجدها في عناوين الفصول، مشكلة عنصر من العنوان من مثل ، " :فصل "في أن اللغة ملكة صناعية"، وفصل "في أن لغة العرب

<sup>1</sup> المصدر نفسه ص 579

لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر ولغة حمير"، وفصل "في أن لغة أهل الحضرة والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر ."

### المطلب 3 "اللسان" و"اللغة" في الدرس اللساني العربي المعاصر

يرى معظم اللغويين و اللسانيين المغاربة في "اللسان" المصطلح العربي الأصيل، الذي يليق أن يكون بديلا عن المصطلح "اللغة"؛ محتجين على هذا الإبدال بحجتين؛ الحجة الأولى هي استعمال القرآن لـ"لسان" بدل "لغة"؛ وهو الاستعمال الذي أجمعت الآيات القرآنية المشتملة على كلمة "اللسان" على أن الكلمة فيها جميعا هي بمعنيين؛ الأول هو "عضو الكلام" \*، والثاني بمعنى "اللغة" كما عرفت المعاجم اللغوية العربية التاريخية. وقد جعل عمار ساسي في كتابه اللسان العربي وقضايا العصر من استعمال القرآن للسان بمعنى "لغة" سببا في استعماله لهذا المصطلح مادام القرآن الكريم من مصادر جمع اللغة ومصادر الاحتجاج فيها؛ فقد قال محتجا على مصطلح "اللغة": "لماذا وجد مصطلح اللغة الدخيل، وقد كان له نظير في التراث موجودا يحمل دلالاته أحسن حمل؟. وأعني به في هذا المقام مصطلح .والحجة الثانية التي يجعلها القائلون بـ"لسان" بدل "لغة"، هي دعوتهم إلى استعمال المصطلح الموجود في التراث اللغوي العربي قبل اللجوء إلى المصطلح المترجم أو المعرب؛ فـ"اللغة" في تأصيلها عندهم مصطلح معرب أو دخيل. وفيما يتعلق بالحجة الأولى أقام عمار ساسي في كتابه السابق الذكر مسحا للمصطلحين "لسان" و"لغة" في المعاجم اللغوية العربية

التراثية؛ فمكّنه ذلك المسح من جمع مبررات علمية لسبب تفضيله لمصطلح "اللسان" على "اللغة"؛ مؤكداً على أن "اللغة" ليست هي "اللسان"؛ فهي جزء منه؛ فقال في ذلك: "اللسان هو الجارحة زائد الآلة الصامتة الصائتة، بينما اللغة هي الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فإذا ذكر اللسان ذكرت معه اللغة تبعاً، بينما إذا ذكرت اللغة فليس من الضرورة أن يذكر اللسان، لأن اللسان في الحقيقة هو أعم من اللغة... وهي جزء منه لا يتجزأ و هو بذلك يسمى "اللسان" بالمصطلح الأصيل، ويعيب على<sup>1</sup> القدماء جعل مفهومه لـ"اللغة"؛ يقول في ذلك "قالوا اللسان هو الجارحة... وقالوا اللسان هو اللغة وهذا بأرّبي خلط كبير ينبني عنه عدم استعمال للمفهوم وعدم استقرار في الدلالة . ويتحسس عمار ساسي لمصطلح "اللسان" على حساب مصطلح "اللغة" يرجع سبب استعمال ابن فارس لمصطلح "اللغة" في كتابه الصحابي في فقه اللغة إلى كونه أعجيباً كانت الكلمة و هي حجة يدحضها الفارهيدي العربي الذي كانت الكلمة -أو المصطلح- موجودة في جمعه اللغوي، وحملت عنده كما حملت عند المعجميين اللاحقين عليه- إلى اليوم- المفهوم الذي أسند لـ"اللسان" حمله خارج دلالة الجارحة وفي اعتماد الحجة الثانية تقول خولة طالب الإبراهيمي ن لم يكن كلامها هنا في مصطلح "اللسان"؛ بل في كل المصطلحات اللسانية التي تعود فيها إلى ما استعمله

<sup>1</sup> في قوله تعالى: "ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفقتين" سورم البلد، الآية 9-8 أي يبصر بهما، ولسانا أي ينطق به فيعبر عما في ضميره وشفقتين يستعين بهما على الكلام... قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظيماً... لت له غلظاً فأنطق بما أمرك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك" " في هذه الآية هو عضو النطق والكلام بتعاقد من الشفتين. ينظر: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم بيروت 1985 512

الأوائل من تسميات-": سنحاول قدر الإمكان أن نحافظ على المصطلحات القديمة إذا كانت

تقي بالمقصود وعندما يستحيل ذلك نلجأ إلى الترجمة و الاعتماد على جهود الآخرين

نحيل في ذلك إلى ما يقوله الحاج صالح ، وهو الأمر الذي جعلها تستعمل مصطلح

"لسان "بدل ،" "لغة "بعد أن ترجم عبد الرحمن ب" دراسة اللسان منه و إليه".

ليس الأمر بشأن استعمال مصطلح "لغة "بعد التصريح بتعويضه ب"لسان "هو ما

يسجل على اللسانيين السابق ذكرهم فحسب، بل الأمر متعلق أيضا باستعمالهم لعبارات

اصطلاحية كانت "اللغة "عنصرا فيها؛ من مثل :النظام اللغوي، الوحدات اللغوية، الدرس

اللغوي عند خولة الإبراهيمي والترادف اللغوي والتطور اللغوي والاقتصاد اللغوي واللغة ،

العربية عند عمار ساسي .وكان من باب الدقة أن تعوض "اللغة "ومشتقاتها في هذه

العبارات الاصطلاحية ب"اللسان "ومشتقاته؛ فيقال النظام اللساني، والاقتصاد اللساني وغيرها

.وهذا الوضع في استعمال المصطلحين معا هو ما سلم منه مترجما كتاب اللسانيات

التطبيقية - على الأقل في معظم مادة الكتاب- ؛ فقد كان مصطلح "اللسان "هو الموظف

بدءا لمعنى "اللغة بوصفها مصطلحا مفردا في الكتابات المتخصصة .وانتهاء معها عنصرا

من العبارات الاصطلاحية .

إن مصطلح "لسان رغم الاستعمال القرآني له بمعنى "لغة" مطلقاً- لم يستطع إزالة مصطلح "لغة" وتعويضه في كتابات اللغويين القدامى؛ بل على العكس تماماً ظل مصطلح "لغة" هو الحامل للمفهوم، والمتداول بين مجموع علماء اللغة قديماً. ورغم وجود معجم لسان العرب بهذه التسمية، وحمل اللسان فيه معنى اللغة، فذلك لم يمنع وجود كتب شكلت كلمة "اللغة" عنصراً في عناوينها من مثل كتابي ابن فارس؛ مقاييس اللغة والصاحبي في فقه اللغة، ومعجم صحاح اللغة وتاج العربية للجوهري، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي، فيم "اللغة" في هذه العناوين معوضة لـ"اللسان". ومن مثل من وظف "اللسان" بمفهوم النظام والجارحة في أن دون مصطلح "اللغة" الجاحظ في البيان والتبيين؛ ففي قوله: "أما صاحب المنطق فيزعم أن الطائر والسبع والبهيمة كلها كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح و أبين . وفي قوله": "ومن كان لا يلحن البتة حتى كأن لسانه لسان عربي" فصيح أبو زيد النحوي. يتضح أن "اللسان" قد حمل معنيين؛ معنى الجارحة بدليل الصيغة ومعنى الفصاحة بمعنى الكلام المبين عن المقصد، في القول، أعرض في القول الأول الثاني. واستعمال "اللسان" بمعنى الفصاحة انعكاس لما كانت تراه العرب من مكانة لسانها العربي؛ فهو اللسان الوحيد الذي يصدق على الناطقين به صفة الفصحاء بمعناها اللغوي الأبياء - ، لا البلاغي بشروطه التي يحددها درس البلاغي. بدليل تسمية كل الألسن خارج اللسان العربي بالألسن الأعجمية؛ فالأعجم والأعجمي والأعاجم واللسان الأعجمي كلها صفات لغير العرب

نسبا ولسانا .وحجة اللسان فيها أقوى وأثبت؛ فالأعجم في أبسط تعريف له غير العربي لسانا لا نسبا . وهو الاستعمال الذي تؤكدُه الآية الكريمة :بلسان عربي ، حيث اللسان العربي هنا بمعنى الكلام المفصح الموضح للمقصود منه؛ أي إنه "مبين بمعنى "اللغة " .

#### المطلب 4 : "اللغة" و"اللسان" عند ابن خلدون

في مسألة المصطلحين "لغة" و"لسان" يوظف ابن خلدون المصطلحين معا للدلالة على المفهوم ذاته؛ فقد تكرر في مقدمته استخدامه للمصطلحين بالمعنى نفسه، وقد حدث في أماكن عدة من المقدمة اجتماع المصطلحين في العبارة ذاتها مع حملهما للمعنى و من ذلك قوله و هو قول في ترجمة العلوم إلى العربية- " :أصبحت العلوم كلها بلغة العرب، ودواوينها المسطرة بخطهم، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية "والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن، لدروسها وذهاب العناية بها <sup>1</sup> والمتميز في فهم ابن خلدون ل"لغة" كون مفهومها عنده كان متأسسا على قائمة الكثير منها مستمر بمفهومه وتسميته في الدرس اللساني المعاصر، وهي مصطلحات تكشف وعيا لا يقل عن ذلك الذي قدمته المدارس اللسانية ل"اللغة" -كما سيتضح في مبحث لاحق-، وهي مصطلحات تفصيلها فيما يلي: - الملكة اللسانية :يقول فيه" :اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن

تصير متقررة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان ؛<sup>1</sup> فاللغة " -حسب ابن خلدون- إذ " الغاية منها تعبير الناس عن مقاصدهم، فلا بد أن يكون هذا التعبير خاضعا لما اتفق عليه المتكلمون من قواعد وقوانين للكلام؛ فلا يتم الإبانة عن المقصد إلا إذا كان الكلام خاضعا لما اتفقت عليه الجماعة المتكلمة من شروط في الكلام .وعلى اعتبار الكلام في بنيته الأولى أصوات فقد كان عضوه اللسان. واللسان لا يكفي للإبانة عن المقصد إذ لا بد له من عضو آخر ينظم خروج الأصوات ويحقق الإفادة من هذا الخروج، ليكون هذا العضو هو العقل بما يحمله من دلالة القصد من جهة، وما يخزنه من قواعد اللغة وشروط سلامتها في العبارة، من جهة أخرى .ليكون تجسد هذه السلامة هو الملكة اللسانية التي لا بد من تحققها في المتكلم لترشد اللسان في التعبير عن المقاصد .فالكلام حسب ابن خلدون ليس اللغة/اللسان بل هو شيء يشمل اللغة/اللسان ولا يتكون إلا بهما.

**مهارة الكتابة** و فيها يميز ابن خلدون بين الكتابة بمفهومها الأدبي، بمعنى تجسد الكفاءة أو القدرة اللغوية في إبداع ما<sup>2</sup> . والكتابة بمفهوم الخط ؛ فالكتابة بمعنى - الخط - زمنه من الصناعات المتقدمة بنصيبتها في تعليم المتعلمين ، وهي في تعريفها عنده "رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس وهو صناعة شريفة .وللكتابة

<sup>1</sup> . المصدر نفسه، ص 282

<sup>2</sup> -4 -George Mounin : Dictionnaire de la linguistique, p120

بهذا المفهوم عنده فائدة عظيمة ليس لكونها من الصناعات المكتسب بها فقط، بل هي

كما يوضحه عنوان فصل من المقدمة "الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة

والحساب"؛ يقول في فضل الكتابة من الفصل المذكور : "الصنائع أبدا يحصل عنها وعن

ملكها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة ... كلها قوانين تنتظم علومها، فيحصل منها زيادة

عقل . والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك...وبيانه :أن في الكتابة انتقالا من

الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال؛ ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى

المعاني التي في النفس؛ فهو أبدا ينتقل من دليل إلى دليل...فيحصل لها ملكة الانتقال من

الأدلة إلى المدلولات... فتكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل .ويحصل به قوة

فطنة وكيس في الأمور، لما تعودوه من ذلك الانتقال .والكتابة بمعنى الإبداع باللغة

وباللسان يتحدث عنها ابن خلدون<sup>1</sup> ضمن فنون القول في اللغة العربية، وهي عنده في

جنسي المنظوم والمنثور، اللذين خصهما بالحديث في غير موضع من المقدمة.

**مهارة الكلام** يحدد ابن خلدون قيمة الكلام في إفادة المعنى فيقول "اعلم أن الكلام الذي هو

العبارة أو الخطاب، إنما سره وروحه في إفادة المعنى...وكمال الإفادة هو البلاغة على ما

عرفت من حدها عند أهل البيان لأنهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؛ والبلاغة

هنا ليست مراعاة جماليات القول العربي بمستواه الأسلوبى الرفيع، بقدر ما هي دلالة على

الإبانة والإفصاح وملاءمة الكلام أو العبارة لمحتوى الرسالة الذي يرغب المتكلم في إيصاله

للمخاطب .وهذا تعريف الكلام المطبوع عنده؛ يقول في ذلك " :إذا قالوا الكلام المطبوع فإنهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه، لأنه عبارة وخطاب، ليس المقصود منه النطق فقط .بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويدل عليه دلالة وثيقة.

### المبحث الثالث : فصل في مصطلحي "اللسان" و"اللغة"

#### المطلب الأول : "اللسان" و"اللغة" : تمايز أم تطابق؟

إن عدم استعمال القرآن الكريم لمصطلح "اللغة" قد يوهم بالقول إن المصطلح "لسان" قد عوض المصطلح "لغة" في النص القرآني .مما قد يؤدي ويسمح بإبعاد "اللغة" كمصطلح وتعويضها بـ"اللسان" في الدرس اللساني العربي .لكن الأمر في الحقيقة ويتعمق في الدرس اللساني المعاصر يحول دون ذلك؛ فالمصطلحان "لسان" و"لغة" على الرغم مما يتبدى من تطابق بين مفهومهما، إلى درجة أنه قد يعد تعريفا واحدا في ضوء الدرس اللساني الوصفي \* .تكشف معاينة لهما في ضوء تفريقات دي سوسور بين langage و " langue " . وما يجعله علم اللسانيات التطبيقية لمصطلحي "اللسان" و"اللغة" و"اللغة" انهما

---

• يقول بنبيست في هذا التطابق " :نبتدى بملاحظة أن اللسانيات موضوعين مزدوجين، إنها علم اللسان وعلم اللغات .هذا 3 بعين الاعتبار ضروري ...إن اللساني يهتم باللغا /الأسن، فاللسانيات بداية هي نظرية /الأسن لكن في الدراسة الوصفية نرى أن هذه الأصوات الفاصلة تتداخل غالبا وأخيرا تختلط ببعضها؛ لأن /الأسن لها تلك الدرجة من العمومية التي تضع دائما اللسان محل السؤال ."

مصطلحان متمايزان ينفرد كل منهما بمفهومه الخاص و ان بدا متداخلا مع مفهوم المصطلح الآخر .وهو ما يجعل القول إن المصطلحين هما تسميتان لمفهوم واحد ، ويكون القول باستعمال "اللسان "بدل "اللغة "حلا لهذا التعدد المصطلحي قولاً خاطئاً؛ يخطئه دي سوسور الذي حدد في بدايات تقيده للدرس اللساني ما يميز بين *langage* و *langue* مع الإشارة إلى أن استعمال أحدهما مكان الآخر كان ليقبل لو اكتفي في الدرس اللساني العربي بالترجمة عن الكتب الانجليزية -لاستعمال اللغة الانجليزية لمصطلح واحد هو *langage* بمعنيين اثنين ومعنى *langue* و معنى *language* لكن مادامت اللغة الفرنسية تجعل للمصطلحين *langage* و *langue* بمفهومين متمايزين، فلا مناص من ثبت لتمايز مقابليهما في اللغة العربية؛ ومن ثم حتمية إثبات التمايز بين "اللغة "و"اللسان "في اللغة العربية.

## المطلب 2 : بين *langage* و *langue* عند دي سوسور

إن المتصفح لكتاب دي سوسور الشهير دروس اللسانيات العامة نلاحظ ان هذا الاخير يحاول التمييز لنا بين *langage* و *langue* . حيث يقول " : ما هي *langue*إنها بالنسبة لنا لا تختلط ب *langage* ليؤكد أنها جزء محدد منه ؛ يقول " :إنها ليست سوى جزء محدد، هام إنه حقيقي .إنها في الآن نفسه منتج اجتماعي لمملكة *langue*

و مجموع شراكات لضرورية، المتبناة من طرف الكيان المجتمعي للسماح بممارسة هذه الملكة عند الأفراد ، ف langue بهذا المفهوم ليست سوى جزء من كل ، langage و بما أنها مجموع التبادلات أو الاتفاقيات الضرورية فهي قابلة لأن تضبط وتتحدد على عكس language: الذي لا يمكن ضبطه بمجال أو ميدان بعينه؛ ولذلك يقول دي سوسور " language متعدد الأشكال، إنه في الآن نفسه فيزيائي، وفيولوجي ونفسي، وينتمي أيضا إلى الميدان الفردي و إلى الميدان الاجتماعي لأنه لا يسمح بتصنيفه في أي زمرة من أفعال البشر لأنه لا يعلم كيف يمكن فصل وحدته على العكس من ذلك langageإنها كل في ذاتها، ومرجعية تصنيف بمجرد أن نعطيها المرتبة الأولى ضمن أفعال الكلام نكون قد أدخلنا ترتيبا طبيعيا في كل لا يستطيع قبول أي تصنيف آخر إن Langue بهذا التحديد من دي سوسور قابلة لأن تستخرج من language قابلة لأن تستقل عنه في التصنيف، وبالتالي هي متميزة عنه. إنها حسب دي سوسور وبمعنى من هذا التصنيف شيء مكتسب ومشترك، ولا بد أن كون مرتبطا بالمعنى الطبيعي بدلا من أن يكون متحكما فيه ، إنها بذلك مختلفة عن هذا المعنى الطبيعي Langage الذي يستند على "ملكة نمتلكها فطريا.

إن دي سوسور إذ سعى إلى جعل الدراسة اللغوية دراسة علمية، فقد اضطره ذلك إلى التمييز بين langage و langue ؛ لما تتسم به الأولى من إمكانية التصنيف، و ما يتسم

به الثاني من استحالة ذلك هذا من جهة. ومن جهة أخرى تمييزه بين الاثنين كان خاضعا لما كان قد أقره منذ البداية كمنهج دراسة ؛ فالدارسة إذ تعتمد المنهج الوصفي تسلم منذ البداية بإبعاد كل ما هو غير لغوي ولما كان langage مرتبطا بجانب المضمون بالبعد الرمزي من الكلام ؛ وهو البعد الذي يحول بينه وبين إمكانية تصنيفه وجعله شبكة قابلة للعزل؛ لكونه تابعا للأداء الفردي وليس للنظام في إحالته على البعد الاجتماعي المحدد Langue فقد بدت دارسته بالتركيز على الدخانية التي تفرضها الدارسة الوصفية لـ بمبدأ المحايثة قاصرة عن الفهم الحقيقي له، ومن ثم إمكانية دارسته كما يجب و لما كانت هذه الشبكة غير قابلة للعزل في langage وممكنة في langage فقد كانت langage عند دي سوسور نظاما يلائمه المنهج الوصفي . ثم تحتم على أن تكون لـ Langue قواعد ؛ هي صياغة النظام بدلا من النحو المعياري الذي كان يسلط على langage فيحكم عليه صائبا وخاطئا . وهو التمييز الذي جعل langage تتوب عن Langage في الدراسة اللسانية الوصفية القائمة على مبدأ المحايثة، مما أدى أخيرا إلى ما يبدو تطابقا بينهما في التناول الباحث عن نظام معزول غير متأثر بما هو خارجي؛ إذ "لا يهم دي سوسور هذا النظام على وجه التحديد لأن Langue بالنسبة له ، نظام من العلامات.

إن تمييزا بين Langue و كلام Parole عنصرين مشكلين لـ Langage عند  
جي سوسور قائم على اعتبار أن الدراسة الوصفية لـ Langage تستلزم دراستين : إحداهما  
ضرورية لها بوصفها مادة Langue التي هي اجتماعية ومستقلة عن الفرد...والثانية  
ثانوية فبوصفها مادة؛ إنها الجزء الفردي من Langage بمعنى الكلام...إنها فيزيائية  
نفسية ، لذلك كان دي سوسور منذ البداية مهتما بالتمييز بين langue و langage على  
استحالة تصنيف الأول، مع إمكانيته مع الثانية .ومن ثم كانت Langue في تعريفها بأنها  
النظام الذي لا يجيزه إلا نسقه الخاص، تأكيدا من دي سوسور على إمكانية معرفة تكوينها  
الكلي الداخلي دون حاجة إلى دراسة ما هو ظاهري وتاريخي مرتبط بـ Langage . كما  
أن هذا النظام يوجد مستقلا عن الأفراد؛ الاستقلالية غير المسموح بها بتاتا حين الحديث عن  
langage من Langue بعد هذا التمييز لا تأخذ أهميتها في الدراسة السوسورية باعتبار  
من فردية الأداء في Langage ، بل هي النظام المشترك الذي يجمع كل المتكلمين بها  
فلا عجب إذن أن تترجم Langue في الدراسات اللسانية بـ"اللسان" . مشتركة في ذلك مع  
Langage . في التسمية ذاتها.

### المطلب 3 : هل عدم استعمال القرآن والحديث لمصطلح "لغة" يبعده عن التداول ؟

يقترح بعض اللغويين "اللسان" بدل "اللغة" تأسيا منهم بالاستعمال القرآني لـ"اللسان"، وهو الأمر الذي جعل التسمية "لغة" مبعدة عن لعب دور مرادف لـ "اللسان"، الدور الذي كان الجمع اللغوي زمن الاحتجاج قد أوكله لها فأثبتته المعاجم فيما وضعت ورتبته من وحدات معجمية. والحقيقة أن التعامل مع هذا التوظيف بإقحام للعاطفة الدينية قد يحسم المسألة لصالح "اللسان". وهي العاطفة التي بدا عمار ساسي منطلقا منها، فكان أن رفض "اللغة".

لكن السؤال الذي قد يطرح دون استئذان أو انتظار؛ هل عدم استعمال القرآن لمصطلح "لغة" واستعماله لـ"اللسان" يعني بالضرورة الاستغناء عن المصطلح "لغة"؟ .

إن الإجابة على السؤال /العنوان هي بالنفي، لأسباب علمية محضة؛ فالقرآن الكريم إذ استعمل "اللسان" ولم يستعمل "اللغة" فذلك لم يكن على ما يبدو مما يشين مصطلح "اللغة"، فيسمح باستبعاده عن الاستعمال وتعويضه بما استعمله القرآن الكريم؛ فقد يحدث ذلك لو حملت "لغة" معنى آخر ترفضه الأخلاق، ويمحوه الذوق فتستبعد بسبب ذلك عن التداول. لكن رغم ذلك فالكلمة متى لحقها هذا الانحطاط الدلالي استبعدت عن التداول العام؛ لكنها تبقى محل الجمع اللغوي؛ لأنها تشكل مفردة من اللغة، تعكس مستوى لغويا، أو طبقة لغوية هي جديرة بالدراسة من منظور اللسانيات الاجتماعية. وتأكيدا لا إجابة على

السؤال العنوان بعد عدم وقوع "اللغة" في انحطاط دلالي تبررها حجج منها كون مصطلح "اللغة" عند اللغويين القدامى أثبت حفاظه على مفهوم واحد منذ أول ظهور للكلمة بوصفها وحدة معجمية من المعجم العربي، لغويا كان أو متخصصا. وهو المفهوم الذي استعمله القرآن من خلال مصطلح "اللسان"؛ الاستعمال الذي قد يكون تأكيدا على ما استعملته العرب من دلالة "اللسان" على مفهوم "اللغة"؛ فقد قال زهير في معلقته ( لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ) . وظهر اللسان إلى جانب الفؤاد لا يقصد به العضو فحسب؛ بل زيادة على العضو هو المنطق والكلام .

إن عدم استعمال القرآن الكريم لمصطلح "اللغة" أمر مريب بالفعل؛ لأنه يجعل المصطلح ... كما كان من بعض اللسانيين المعاصرين- مصطلحا مشكوكا في أمره - وبتعاقد من عدم استعمال المصطلح في الحديث الشريف، وتوقف حظ استعماله عند التابعين من الشارحين والمفسرين للقرآن والحديث تكون حظوظ المصطلح "لغة" في إثبات عروبه ضئيلة مقارنة ب"اللسان". وللأسف الشديد انعدام المعاجم الاشتقاقية التأصيلية في العربية مع انعدام المعاجم التاريخية، واقتصار الجهد فيها على عينة من الكلمات لا مجموع الكلمات المستعملة في العربية منذ ظهورها إلى اليوم يحرم الباحثين من الوقوع على الإجابة على الإجابة الشافية والحاسمة لمثل هذا النوع من الفرضيات. ولا يمكن أن يقال بعد

استعمال القرآن إن ذلك يلغي معرفة العرب لمفهوم "لغة" كما هو اليوم؛ بدليل وجودها ضمن الجمع اللغوي للمعاجم اللغوية العربية الأولى ، وتمعن في مادة الجمع التي يسوقها ابن سيده في معجمه المخصص تسمح بالقول إن "اللسان" عند العرب القدامى لم يفهم خارج معنى "اللغة" التي غالبا ما استخدمت كمرادف لـ"اللسان"، وفي شرحه ؛ فقد ورد في المخصص "يقال لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها . ولذلك كان "اللسان" في شرح" التابعين للآيات والأحاديث النبوية المحتوية عليه

ولم يحتسب ذلك عليهم خاطئا ؛ بل بدت "اللغة" كشرح لـ"اللسان" دقيقة وواضحة و إن كانت قد وظفت بمعنى "اللهجة" ، أيضا.

الفصل الثاني : التعدد اللغوي بين الماهية و المظاهر:

المبحث الأول : ماهية التعدد اللغوي

المطلب الأول: الأحادية اللغوية و التعدد اللغوي :

تكون المجموعات اللغوية إما أحادية اللغة وإما متعددة اللغات:

- تكون المجموعة اللغوية أحادية اللغة إذا كان كل أفرادها يشتركون في لغة واحدة ولا يتعامل جزء منهم بلغة غيرها. ويبدو أنّ حال القبائل العربية كانت على هذا النحو في الغالب ، لقلة اختلاطها بالأمم الأخرى.

- أما إذا كانت متعددة اللغات فإنها تشترك في أكثر من لغة أو أنّ لجزء منها لغة ثانية. وينقسم التعدد اللغوي إلى أصناف حسب عدد اللغات وكذلك حسب طبيعتها. إذا كان عدد اللغات المستعملة (أو المفهومة، إذ أنّ الازدواجية اللغوية -أو التعدد اللغوي- يعرفان بتعدد وسائل التخاطب أو التفاهم) لا يتجاوز الاثنين توضع المجموعة في خانة الازدواجية (bilingualism) وتكون متعددة اللغات إذا تجاوز عددها الاثنين.

وهكذا يعرف تعدد اللغات (multilingualism) أو التعددية اللغوية (plurilinguism)

باعتبارهما خاصية توصف بها البلدان والمجموعات اللغوية وحتى الأشخاص الذين يعتمدون لغات متعددة في عملية التواصل. ويأتي التماس والتواصل (تجارة كان أو حروبا أو

احتلالا) والاكْتساب اللغويّ بوساطة التّعليم في المرتبة الأولى من أسباب التّعدّد اللّغويّ. ويعتبر تعدد اللّغات ضمن الكفايات التّواصلية الضّروريّة في مجتمعات متعدّدة الثقافات.

### المطلب الثاني : الازدواجية والثنائية:

لقد ميّز فرجيسون (Fergusson, 1959) في مستوى الازدواجية بين استعمال لغتين مختلفتين (كالعربيّة والإنجليزيّة، مثلا) أو استعمال لغة إلى جانب لهجة من لهجات تلك اللّغة ، مستشهدا بوضع أغلب الدّول العربيّة في الفترة المعاصرة .ووسم ذلك الوضع بالثنائية اللّغويّة (Diglossie). وقد حلّ التّعدّد اللّغويّ في بعض البلدان العربيّة باعتباره ازدواجية لغوية (عربيّة و إسبانيّة ،أو عربيّة وفرنسيّة، أو عربيّة وأمازيغيّة، كالمغرب الأقصى، مثلا) إلى جانب ثنائية لغوية (عربيّة وعاميّة، مثلا).

### المطلب الثالث : الازدواجية اللغوية :

تُعدّ الكفاية اللّغويّة الإضافية والقدرة على التّواصل بلغات أخرى اليوم في محيط ثقافيّ معلوم ومتعدّد الثقافات مكسبا مهماً . لكن من المعلوم منذ زمن الجاحظ أنّ اكتساب ملكتين لغويّتين متوازيتين أمر بعيد المنال. يقول الجاحظ في ذلك : «ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنّه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأنّ كلّ واحدة من اللّغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعرض عليها، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنّما له قوّة واحدة، فإنّ تكلم بلغة واحدة استقرغت تلك القوّة عليه. بل إنّ تعريف

الازدواجية اللغوية في معناها الدقيق يجعل مثل هذه الحالة شبه منعدمة، إذ لا يُعتبر مزدوجاً (أو متعدّد اللغات) إلاّ من كانت لديه كفاية في لغتين توازي كفاية متكلّم لغة الأمومة. و هذا لا يتوفّر إلاّ في حال اكتساب الطّفّل اللغتين متزامنتين (فما بالك إذا كانتا متعاقبتين أو إنّه قد اكتسب إحداهما بالتعلّم). ويطلق على مثل تلك الحالة النادرة صفة «متساوي اللغتين» (Equilingual). بيد أنّه، حتّى في مثل تلك الحالات النادرة، لا يكون التّوازي بينهما مضموناً لأنّ المستعمل قد يفضّل التّخاطب بإحدى اللغتين لأسباب نفسية أو اجتماعية. ومن ثمة ، فقد جرت العادة بين المتخصّصين بأن يُستعمل مصطلحاً التّعدّد اللغويّ والازدواجية بمعناهما الفصفاض.

وقد يدخل المزدوج اللّغة (أو متعدّدها) ضيماً على لغته الأصليّة لمجرد اختلاطها بلغات أخرى، كما نبّه على ذلك ابن خلدون في «المقدّمة»: « وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فرس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتّخذوا خولاً ودايات وأظارا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتّى انقلبت لغة أخرى.» ويكون ذلك أيضاً - كما هو الشّأن في عصرنا هذا - إذا ما رأى العربيّ في لغته لغة مغلوبة وطفق يرطن بلغة الغالب لافتراضه أنّ لغته تفتقر إلى المصطلحات والمفاهيم التي يسهل عليه التّفلفظ بها في لغة الغالب فيسهل في إفقار لغته عوض إغنائها. بل إنّ إدخاله، على نحو متواتر مطرد ، ألفاظاً في لغته الأمّ ليوقعه في ما يسميه علماء اللّغة

خط الشفرة (Code mixing) وهو غير «تبديل الشفرة» (Code switching) المتعارف عليه، إذ إن مصطلح «تبديل الشفرة» يشير إلى التحدث بلغة ما ثم الانتقال إلى الحديث بلغة أخرى (سواء في عملية الترجمة أو عند التوجه إلى مخاطبين متعددي اللغات)، منضبطا في كل مرة للقواعد النحوية لكل منهما. أما خط الشفرة فإنه يشير إلى التلفظ بكلمة أو عبارة أو جملة من اللغة (ب) ضمن خطاب في اللغة (أ). وقد يفضي هذا الخلط في حال تطوره وتعميمه إلى خلق لغة هجينة، رثة غير منمطة وغير مستقرة ، يصعب تعلمها وتعليمها (لأنها تأخذ من أكثر من لغة على نحو غير منتظم). وهذا ما حدث لبعض لغات الشمال الإفريقي، إذ نجمت عن خط الشفرة المتولد عن الازدواجية الوحشية مشكلات نفسية واجتماعية جعلت المستشرق الفرنسي غرانغيوم (Grandguillaume) يصرح بأن "خط الشفرة جعل من الجزائر بلدا لا لغة له".

### المبحث الثاني : واقع اللغة العربية في الجزائر

رغم أن الجزائر حصلت على استقلالها من فرنسا إلا أنها لم تتمكن من الاستقلال عنها لغويا، فاللغة الفرنسية تفوق العربية الفصحى استعمالا؛ لعوامل اجتماعية، وثقافية إذ أصبح الحديث باللغة الفرنسية مرتبطا بالحدثة والتطور في الذهنية الجزائرية. ورغم أثر استعمال الدارجة إلا أنها ليس لها توجيه تأثيري في الوضع اللغوي كما هو الحال في اللغة الفرنسية، وهي اللغة الأجنبية؛ لكن بحكم عوامل سوسيوثقافية، والتعميم الفائق لها على حساب اللغة

العربية أضحت مستعملة ولها تأثير في المجتمع، وتنتع بشكل دائم خاصة في السنوات الأخيرة، علماً أنّ الخطاب الناطق بالفرنسية يستند بصورة جوهرية إلى عدة اعتبارات ، وإلى أمور نفسية واجتماعية. ويرجع استعمال اللغة الفرنسية في الجزائر إلى العهد الاستعماري الذي قام بفرنسة التعليم إذ "كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعمارياً بحثاً لا يعترف باللّغة العربية، ولا يقيم لوجودها ، ولم يكتف بفرضها - اللغة الفرنسية - . في ميدان التعليم أيّ حساب في جميع مراحل التعليم ". فقط بل فرضها أيضاً في الإدارة، والمحيط الاجتماعي، وأجهزة الإعلام فرضاً، كما فرض على المدن والمؤسسات أسماء جديدة لقادة الاحتلال من أمثال (بيجو) و(ألوزيل) و(لافيجري) وكانت تهدف السياسة الفرنسية من وراء ذلك كآله إلى جعل البيئة الثقافية الجزائرية قطعة من البيئة الثقافية الفرنسية، حتى يكون لفرنسة التعليم سند من فرنسة الإدارة والمحيط الاجتماعي وقد اعتمدت فرنسا للقضاء على اللغة العربية وفرض اللغة الفرنسية في الجزائر عدة أساليب أهمها - :حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظراً مطلقاً، فلا وثيقة تُقبل إدارياً إلاّ إذا كانت مكتوبة باللّغة الفرنسية، حتى أسماء المحلات، والأماكن العامّة، والتواقيع على الوثائق... الكلّ باللّغة الفرنسية، فصار الفرد المتعلم بالعربية في درجة موازية للأميّ، . لتصير الفرنسية لغة الخبز والحياة بدون منافس و كذا عدم السماح للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد

الخاصة التي تعتمد اللغة العربية في التدريس، ولو بأموالهم الخاصة، واشترطت على هيئات التعليم العربي إتقان اللغة الفرنسية.

للحصول على رخصة التعليم من الإدارة الفرنسية مما اضطر مسؤولي التعليم في الجزائر إلى ابتكار ما أسموه بـ (اللغة العربية الكلاسيكية)، وهي اللهجة العامية الجزائرية، إذ نشط أعوان الإدارة الاستعمارية (من الجزائريين مزدوجي اللغة) في وضع بعض الكتب المدرسية باللهجة العامية الجزائرية التي هي خليط من البربرية، والعربية، والتركية، وهذه العربية عبارة عن : وخليط من اللغة لا هو عربي، ولا هو بربري، ولا فرنسي، وإنما هو مزيج من اللغة العربية والبربرية والفرنسية، والعربية منه أقل الثلاثة مع ما هي عليه من التكسير والاختزال. "الصراع بين اللغة العربية الفصحى والعامية تعد اللغة العامية الجزائرية لغة الأمي والمتعلم، ولغة الفقير والغني، أي أنها لغة الفئات الاجتماعية؛ لأنها تضم اصطلاحات لهجية مختلفة ترتبط بالموقع الجغرافي، ويرجع علماء اللغة انتشار استعمال عاميات الشمال، وعاميات الجنوب، وعاميات الغرب "العامية إلى سهولة العامية لخلوها من الإعراب يقول عبد الله نديم واصفا العامية: "ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية.... ولكنها أحاديث تعودنا عليها ولغة ألفنا المسامرة بها، ولا تلجئك إلى قاموس

الفيروزبادي، ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا، ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها ، كما أنها لا تخضع لقواعد النحو، والصرف، والإملاء عند كتابتها ما و يرجع بعضهم صعوبة الفصحى إلى قواعدها النحوية والصرفية، كما أن تعلمها يتطلب وقتا طويلا وجزءا كبيرا من عمر الإنسان؛ لهذا رأوا أنه يجب علينا أن نحل محل اللغة الفصحى العامية التي هي لغة البيت (الأسرة)، ولغة المجتمع الشعبي، وهي التي يتعلمها الطفل في أول نشأته. ومما يظهر سهولة العامية و صعوبة الفصحى أن الطفل يتعلم (تعلم تلقائيا لا إكراه عليه) الأولى في مدة أقل من تعلمه للثانية.

الى جانب العامل التاريخي الذي يتمثل في سياسة المستعمر الفرنسي الذي عمل بمختلف الوسائل على نشر الفرنسية، والقضاء على العربية الفصحى؛ مما أدى إلى انتشار العامية، ويظهر ذلك في تصريحات الحكام الفرنسيين، من ذلك ما جاء في قول أحدهم: "إن الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن " و لا نغفل العامل الديني حيث سعى الاستعمار الفرنسي لطمس الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، والقضاء على دينه الإسلامي من وراء محاربته للغة العربية، لأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام، والمحافظة عليها تعني بقاء الإسلام والعروبة،

ويعتبر لنا الشيخ البشير الإبراهيمي هذه الحرب في قوله " : مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي، وهو عدو سافر للعرب وعروبته، ولغتهم ودينهم الإسلام .... وبيان ذلك مع الإيجاز أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو منذ احتل الجزائر عمل على محو الإسلام ... وعلى محو اللغة العربية ؛ لأنها لسان الإسلام.

### المطلب الأول : الصراع بين اللغة العربية و الفرنسية :

رغم حساسية المسألة اللغوية، وذلك لأسباب تاريخية تحيل إلى تجربة استعمارية استيطانية فرنسية دامت قرنا وربع قرن انتهت إلى جعل المجتمع الجزائري يعيش بعد الاستقلال صراعا لغويا حادا بين العربية والفرنسية، تفرع إلى صراع بين العربية والأمازيغية وإلى جدال دام أحيانا حول الهوية الوطنية، لم يتناول الأدباء الجزائريون الذين يكتبون بالعربية هذه القضية إلا خارج نصوصهم السردية، حيث ذهبوا أحيانا إلى حد "التكفير" اللغوي لبني جلدتهم من كتاب اللغة الفرنسية.

في المقابل استمات الأدباء الجزائريون الفرنكفونيون، عدا استثناءات قليلة، دافعا عن مشروعية الكتابة بالفرنسية التي ارتقوا بها إلى مستويات أدبية لم يدركها الكتاب الفرنسيون أنفسهم أحيانا، كما دافعوا أيضا عن مشروعية استعمالها خارج الكتابة الإبداعية، أي داخل

مجتمعاتهم كلغة عمل وتواصل بين الجزائريين. وتعد رواية "بان الصباح" لعبد الحميد بن هذوقة من الروايات الجزائرية العربية القليلة التي تصدت سرديا لموضوع "حرب اللغات" بين العربية والفرنسية التي كانت البلاد مسرحا لها بعد الاستقلال، يعني بعدما وضعت الحرب الحقيقية أوزارها سنة 1962، بين فرنسا والجزائر.

الحقيقة أنه إذا ما احتكنا إلى التجربة الجزائرية وأيضا إلى تجارب مجتمعات أخرى في العالم العربي، نجد أن المسألة اللغوية كانت شغلا جماهيريا أيضا، خصوصا لدى ما يسمى بالأقليات في هذه المجتمعات، فما يمكن تسميته بالاضطهاد اللغوي أو بالهيمنة اللغوية كان أحد أسباب يقظة الشعور الهوياتي لهذه "الأقليات" ولحدوث اضطرابات دموية وانقسامات مجتمعية وسياسية حادة هددت، وتهدد، وحدة هذه المجتمعات، مثلما كان الشأن في الجزائر بسبب تهميش الأمازيغية واعتبارها مجرد لهجة لا محل لها من الإعراب، أو في العراق وسوريا مع اللغة الكردية التي كان إقصاؤها عاملا من العوامل التي أدت إلى إنماء الشعور بالذات والرغبة في الانفصال عن الدولة الوطنية التي تأسست من الناحية اللغوية على الأحادية، مثلما كان الأمر في السياسة، الشيء الذي أدى إلى جعل اللغة العربية تبدو رمزا للهيمنة والإقصاء لهذه الأقليات. وقد أدى ذلك، في الجزائر، إلى تغذية العداء لهذه اللغة،

وللحضارة العربية-الإسلامية على العموم، خصوصا في المناطق الناطقة بالأمازيغية، كما يدل على ذلك الطابع العلماني والنزعة المتوسطة للأحزاب المتجذرة فيها.

المهم أننا نستنتج مما سبق بشأن المسألة اللغوية أن الذين سيخوضون النقاش والجدل في هذه الإشكالية، من غير أن نعرف دائما وظائفهم الاجتماعية على وجه التدقيق، هم من المتعلمين، أي من الذين يقرؤون ويكتبون، و إنما بلغتين مختلفتين إن لم نقل متعارضتين، الشيء الذي يشي مرة أخرى بارتباط الصراع اللغوي في الجزائر بالصراع من أجل السلطة، لكن شرط ألاّ نحصر هذه الأخيرة في حدودها السياسية الضيقة، بل بتجلياتها الأخرى، في فضاءات اكتساب المعرفة ونشرها (المدرسة، الجامعة)، في الإعلام (توجيه الرأي العام والتحكم فيه)، وكذا في مجال السلطة الإدارية أو البيروقراطية، وغير ذلك من المجالات التي يتدخل فيها امتلاك اللغة المكتوبة كشرط ضروري من شروط امتلاك السلطة بالمعنى الذي نجده عند ميشال فوكو.

ويمكن تقسيم مواقف وآراء هذه النخب المتعلمة إزاء اللغة إلى قسمين كبيرين: أنصار استعمال العربية وأنصار استعمال الفرنسية، من غير أن نجد دائما تعارضا مطلقا بين الطرفين، ولا انسجاما بين مختلف المواقف المنضوية في هذا الاتجاه أو ذاك.

المطلب الثاني : الصراع بين اللغة العربية الفصحى و العامية .

عرفت اللغة العربية عبر تاريخها صراعا داخليا بين الفصحى والعامي ، هكذا عرفت شبه الجزيرة العربية في الجاهلية عدة لهجات اختلفت من اليمن إلى نجد فالحجاز ... لكن ظلت الفصحى مفهومة لدى جميع العرب في شبه الجزيرة وغيرها .. وبالفصحى كتبت الأشعار الجاهلية بما فيها المعلقات.. وما اختيار مفهوم (فصحى) لهذه اللغة إلا دليل على وجود لغات أخرى ، فلفظ فصحى (superlatif) يستعمل لتفضيل واحد على مجموعة : فنقول في الواحد فصيح ، وفي المقارنة بين إثنين هذا أفصح من ذاك ، وفي تفضيل واحد على الكثير (الفصحى) أي أكثرهم فصاحة ، وينزول القرآن بهذه اللغة الفصحى ازدادت قوة وفضلت على باقي اللهجات واللغات العربية ، وأضحت لغة عالمية ، لغة الكتابة ولغة الأدب والشعر والإدارة ... وبقيت اللهجات للتداول اليومي بين عامة الناس ، فطبعت كل لهجة بخصائص محيطها ومستعملها ، فيختلف العربي في المشرق عنه في المغرب في نطق نفس الحرف فقد ينطق حرف القاف مثلا في مصر همزة ، وفي ليبيا كَ ((G)) وفي مناطق من الشام كافا وقد تطلق كل تلك الأصوات على نفس الحرف في البلد الواحد ... كما قد تختلف اللهجات في إضافة بعض اللواحق (suffixes) أو السوابق (prefixes) للكلمات كابتداء الأفعال في بعض دول المشرق بباء زائدة ( بحبك ، ما بعرف ، ما بتعرف ما بيعرف ... ) أو بإضافة لحرف الشين كلاحق للفعل المنفي في شمال إفريقيا ( ما نعرفش ، ماكاينش ما قاريش ) لكن

كل ذلك لم يمنع الفهم والإفهام والتفاهم بين العرب شفويا حتى وإن تميزت بعض المناطق بوجود وحدات معجمية غريبة عن الآخرين دخيلة في معظمها من لغات أخرى كالفرنسية والإسبانية في المغرب، والفارسية والتركية واليونانية في المشرق فإن السياق كما يجعلها مفهومة بعد أن سهلت وسائل الاتصال ودبلجة المسلسلات الأجنبية في تدليل بعض الصعاب في فهم العرب اللهجات بعضهم البعض لدرجة أن بعض الشعوب أصبحوا يتقنون لهجات شعوب أخرى كأصحابها أو أحسن...

وخلال القرن الثاني الهجري عاشت اللغة العربية - نفس المشكل الذي تعيشه اليوم - نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية ودخول أجناس كثيرة للإسلام واحتكاكهم بالعرب كافرس الترك الروم اليونان القوت الاسبان ... فعمّ اللحن وكثر المعرب والدخيل .. فاستشعر اللغويون الخطر وهبوا لتدوين اللغة العربية وتقعيدها صونا وحماية لها من اللحن وخوفا عليها من الضياع فكان مجهود سبويه والفرهيدي والأصمعي وأبي الأسود وغيرهم جبارا في تدوين المعاجم والمجاميع اللغوية دون أن يدركوا أن ما دونوه سيحفظ ويعد كل خراجا عليه جاحدا ومارقا عن الجماعة والملة ... لكن الخلف قدس هذا المجهود واعتبر كل زحزة عنه كفار وذنبا غير مغتفر ...

فعلا ساهمت جهود التدوين والتقييد في جعل العربية الفصحى اللغة الرسمية للدول العربية فظلت راسخة ثابتة تشكل لغة المراسلات والإبداع والكتابة والتأليف، دون أن يُقبل من أي كاتب أو أديب استعمال الألفاظ العامية.... لذلك اعتبرت الموشحات ثورة غير مسبقة بعد عندما اختار الموشحون إقفال موشحاتهم ببعض الألفاظ العامية ... و في العصر الحديث وتشبعا بقيم الحداثة والسعي إلى تقريب الإبداع من العامة ونتيجة لعوامل داخلية وخارجية كثيرة ومتداخلة، وبدعم من أيادي خفية أو ظاهرة تكمن بعض المصريين من إدخال ألفاظ عامية في الرواية كنجيب محفوظ ،يوسف السباعي ، إحسان عبد القدوس ، توفيق الحكيم كانت البداية باستعمالها في بعض الحوارات بذريعة الواقعية ونقل الحوار كما يجري في الواقع، ورغم كثرة اللغويين ورجال الذين تصدوا لتلك الموجة فقد كان التيار جارفا بعد أن تسللت العدوى للصحافة و إن الجزائر لم تكن بمنأى عن هذا الجدل الدائر بين العامية والفصيحة فقد طفت على السطح في السنوات الأخيرة دعوات باستعمال العامية ( الدارجة ) في الكتابة والتدريس والصحافة وهي ظاهرة - إن بدت الدعوة صادمة للبعض - موجودة في الواقع مارستها بعض الصحف في ملاحقها و في ما كان يعرف بأخبار السوق منذ مدة ، كما تمارسها الصحافة المسموعة إذ طردت اللغة الفصيحة من كل برامجها وكادت تقصرها على نشرات الأخبار فقط.

ولم يكن التعليم هو الآخر ليسلم من عدوى العامية ذلك أن معظم رجال التعليم يمارسون وظيفتهم بالدارجة في مختلف الأسلاك، وتكاد الظاهرة تكون عادية خاصة في المواد العلمية فيكفي أن يمر المرؤ من جانب قاعات مدرسي الفيزياء والرياضيات ليكتشف أن العامية هي

لغة التدريس في بلادنا ولسنا في حاجة لمن ينادي بجعل الدارجة وسيلة للتخاطب في مدارسنا لأنها فعلا كذلك.. وربما ما أثار كل هذه الضجة الخوف من أن تتجاوز دعوة جعل الدارجة لغة التخاطب في الفصول الدراسية إلى الدعوة بجعلها لغة التدريس وفي ذلك دعوة إلى ترسيمها وجعلها اللغة الرسمية ، ولغة الكتابة ، وهذا ما يبدو بعيد المنال الآن لتعدد اللهجات بالمغرب ، ولغياب وجود قواعد وضوابط اللهجات متعارف عليها ولسرعة تغير قاموس العامية فكثيرة هي المفردات التي تولد تستعمل وتندثر في الدارجة في السنة الواحدة ... إضافة إلى أن ترسيم الدارجة سيضيع على المغاربة إرثا عظيما يتشاركون فيه مع عدد من الدول الشقيقة وقد يكون ذلك سببا في قوقعة المغرب والحد من تأثيره على محيطه الإقليمي والعالمي لأنه سيخاطب العالم بلغة لا يفهمها إلا المغاربة وذلك سيزيد من عزله وهو الساعي إلى لعب دور أكبر على الساحة القومية والقارية و إن نقاش الفصحى والعامية في الجزائر، وربط كل مشاكل التعليم بالمسألة اللغوية اليوم هو نقاش هامشي بالمقارنة مع

الرهانات التي تنتظرنا ..و الأکید الذي لا خلاف حوله اليوم هو ضعف وتدني مستوى التلاميذ والطلبة في اللغة العربية لدرجة يجد فيها الكثير من الطلبة صعوبة كبيرة في كتابة عشرة أسطر دون أخطاء ، ويكون الأمر أصعب إذا طلب من طالب التحدث باللغة العربية الفصيحة شفويا، وقد تفنن الكتاب مؤخرا في البحث عن سبب ضعف وهزالة لغة التلميذ والطالب الجزائري، لكن ما لم يتم التركيز عليه هو تهميش الدولة للشعب الأدبية ، وتم إغراق التلاميذ في وهم أن الرياضيات والفيزياء هما العلم الحقيقي وما سواهما باطل و أن اللغات والاجتماعيات والفكر والفلسفة مواد وشعب لا مستقبل لها .. ومن تم فسياسة التوجيه الجماعي نحو الشعب العلمية سياسة مقصودة لتجفيف ينابيع الفكر الإنساني ، وقريبا - إن سار التعليم في الجزائر على نفس النهج - قد يصبح الأدب بمختلف أجناسه الرواية، ، القصة، أدب الرحلة،الخطابة، الرسالة،المقام الحماسة،المدح، الرثاء، الغزل في خبر كان بالجزائر بسبب قتل الشعب الأدبية ناهيك عن نحر اللغة فالتلميذ الأدبي الذي كان يدرس ست ساعات من اللغة والأدب العربيين .. تم استبداله بتلميذ علمي العربية بالنسبة إليه مادة ثانوية ومعاملها ضعيف لا يطل على العربية إلا حصة يتيمة في الأسبوع ، مع العلم أن كل أساتذة المستقبل سيكونون من خريجي هذا النظام الذين لم يسبق لمعظمهم الاطلاع على رواية أو قصة أو ديوان في حياتهم فكيف سنطالبه بإتقان اللغة الفصحى وهم من درس عن أساتذة لا يتقنون اللغة لأن أغلبهم كان تكوينه فرنسيا وعلميا؟؟

المبحث الثالث : التعليمية في الجزائر و إنعكاساتها للغة العربية :

المطلب الأول : التعليمية ( النشأة و التطور):

أستعملت كلمة ديداكتيك didactique منذ مدة طويلة، للدلالة على كل ما يرتبط بالتعليم، من أنشطة تحدث في العادة داخل الأقسام وفي المدارس و تستهدف نقل المعلومات والمهارات من المدرس إلى التلاميذ... لكن ستعرف الكلمة الكثير من التطور وبالتالي الكثير من التعريف والذي يمكن حصره حاليا في اتجاهين رئيسيين:

• اتجاه ينظر إليها باعتبارها تشمل النشاط الذي يزاوله المدرس، فتكون الديداكتيك بالتالي مجرد صفة نعت بها ذلك النشاط التعليمي، الذي يحدث أساسا داخل حجرات الدرس والذي يمكن أن يستمد أصوله من البيداغوجيا.

و تستعمل كلمة الديداكتيك في نفس الاتجاه أيضا، كمرادف للبيداغوجيا أو باعتبارها مجرد تطبيق أو فرع من فروعها ، بشكل عام ودون تحديد واضح. والاتجاه الثاني ، هو الذي يجعل من الديداكتيك علما مستقلا من علوم التربية. وقبل استعراض نماذج من تعاريف تتدرج في هذين الاتجاهين ، سنعمل على توضيح الدلالة اللغوية للكلمة.

كلمة didactique في اللغات الأوربية مشتقة من Didaktikos وتعني "فلنتعلم ،أي

يعلم بعضنا بعضا" والمشتقة أصلا من الكلمة الإغريقية didaskein ومعناها التعليم.

وقد استخدمت هذه الكلمة في التربية أول مرة كمرادف لفن التعليم، وقد استخدمها كومينوس أو كامينسكي (Kamensky or Comenius) والذي يعد الأب الروحي للبيداغوجيا ، منذ سنة 1657 في كتابه "الديداكتيكا الكبرى" Magna "Didctica" حيث يعرفها بالفن العام للتعليم في مختلف المواد التعليمية، ويضيف ، بأنها ليست فنا للتعليم فقط بل للتربية أيضا . إن كلمة ديداكتيك حسب كومينوس تدل على تبليغ وايصال المعارف لجميع الناس.

وعندنا لابد من الإشارة إلى أننا نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، من ذلك: تعدد المصطلحات المستقاة من الإنجليزية أم من الفرنسية ، وهما اللغتان اللتان يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر، على تنوع خطاباته ، و منها مصطلح didactique الذي تقابله في اللغة العربية عدة ألفاظ : تعليمية ، تعليميات ، علم التدريس ، علم التعليم ،التدريسية، الديداكتيك...

تتفاوت هذه المصطلحات في الاستعمال، ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال ديداكتيك تجنباً لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون علم التدريس، وعلم التعليم، وباحثين آخرين قلائل ، يستعملون مصطلح تعليمية و تعليميات أو مصطلح تدريسية.

المطلب الثاني : عناصر العملية التعليمية :

عملية التعليم، والتي في حقيقتها عبارة عن مجموعة من التفاعلات، والأنشطة التواصلية، التي تهدف إلى نقل المعرفة الصحيحة، وإيصالها لوجهتها المناسبة، وحتى تتم العملية التعليمية بشكلها الصحيح وتترتب عليها آثارها، وتؤتي ثمارها المرجوة، فلا بدّ من توفر وتضافر عناصر تتعلّق بالمحتوى الدراسي، والطالب، والمعلم، والبيئة التعليمية وغير ذلك، وهي كالتالي: **الطالب:** باعتباره أحد عناصر العملية التعليمية وأطرافها؛ فلا بدّ من توفر الاستعداد التام من قبله للتعلّم، وتلقي المعرفة للتفاعل الإيجابي معها، وبدون ذلك تفقد العملية التعليمية قيمتها وجدواها. **المدرّس:** والذي هو مجرد وسيط ناقل للمعرفة، فلا بدّ من توفر مهارة النقل، والتوصيل لديه، مع توفرّ الأمانة في ذات الوقت، فيوصل المعرفة صافية نقية، من غير تشويه، أو تحريف، أو تبديل أو نسيان لعناصرها، أو تجاهل لبعض محتوياتها، مستعيناً بوسائل، وأساليب تعينه في إيصال ما لديه من علم ومعرفة، وتشجّع المتعلّم على التلقّي، والمتابعة، والمشاركة الحقيقية، في اكتساب المعرفة. **البيئة التعليمية:** وتتمثل في غرفة الصف، أو أيّ مكان يتمّ فيه الاتصال والتواصل، والعمليات النشطة بمستوياتها المتعددة، في التعامل مع المعلومات المعرفية امتلاكاً، أو تصحيحاً، أو فهماً، وهنا يبرز دور المعلم أيضاً، فلا بدّ من مناسبة المكان لكلّ هذه الأمور من الناحية الصحية، والنفسية على حد سواء، وعدم توفر البيئة التعليمية المناسبة، سيؤثر إلى حد ما على

الطلاب في رغبتهم لتلقي المعرفة عبرها. الوسائل التعليمية المناسبة للموقف التعليمي: وهي تسهل عملية الاتصال والتواصل بين المعلم والطالب، فتتوّعها وتعددها يسهم في تهيئة الطالب وتحفيزه باستمرار للنشاط التعليمي والتعلّمي على حد سواء، ومبادرة الطالب لاكتساب العلم والمعرفة عبر دائرة متصلة من التفاعل النشط. المنهاج التعليمي: ويقصد به الكتب المقررة، فلا بدّ أن تكون مناسبة لمستويات الطلاب الإدراكية، بحسب تعددها، ومخاطبتها لكل هذه المستويات، ومراعية الفروق الفردية بينهم وللغة العمرية أيضاً. مصادر المعرفة المساندة: ويقصد بها الكتب والمصادر التي يعود إليها أو يتلقّى من خلالها الطالب، أو يستعين بها المعلم في ذات الوقت. إنّ تفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض، وينسق منظّم، ووسيط يربط بينها ويوجه من خلالها، كفيل بإعطاء المعرفة على وجهتها الصحيحة، وبتحقيق الغاية السامية منها، وما نعانيه اليوم من مشاكل، أو ضعف تحصيل عند بعض الطلاب، إنّما يعود في بعض جوانبه إلى خلل في بعض هذه العناصر أو أحدها، بل كلّ عنصر فيها يجب أن يسهم في عملية التعلم، وبدرجة مناسبة له، أمّا المتعلم فتعتبر تهيئته الحجر الأساس للعملية التعليمية برمتها، فهو ميدانها الفسيح، والغاية منه

### المطلب الثالث : المناهج التعليمية عند ابن خلدون:

لا شك أن ابن خلدون رجل قد أوتي ملكة نادرة في إدراك الأشياء وتصورها تصورا ليس له نظير، فالرجل كما نرى يتحدث عن كل قضية من القضايا الإنسانية ويحللها تحليلا وافيا ثم

يردها إلى أصولها، وأخيرا ينتقد منها ما هو أحرى بالنقد ويترك منها ما يجب أن يترك أو يقترح ما ينبغي أن يقترح.

يتحدث ابن خلدون عن التاريخ ويلم بأصوله وبالمذاهب الفاسدة منه أو الصالحة، ويتحدث عن السياسة، فيلم بأصلها وما قيل فيها من ممدوح أو مذموم، ثم ينتقد منها ما ينبغي أن ينتقد ويقترح ما يجوز أن يقترح، وهكذا في كل فن من الفنون، فالرجل يكاد يكون فريدا في طريقته، لا ينتقد لذات النقد أو يهدم كما يقولون، ثم يمضي إلى حال سبيله، ولكنه لا يكاد يدحض قضية من القضايا أو أمرا من الأمور حتى يأتي بأحسن منه أو بالأحرى يعرض عدة وجوه غير التي انتقدها، ثم إذا هو انتقد لا يكتفي بالعموميات بل هو يعطي المثال فيما انتقده، وأكثر من ذلك أنه في كل قضية يبين لم انتقدها، ولهذا فسنستعرف في هذه العجالة على رأيه فيما يتعلق بالتعليم وما هي الوسائل التي ينبغي أن ينهجها المتعلمون لذلك وما ينبغي لهم أن يتجنبوه في ذلك.

إن التعليم عند ابن خلدون غايات ووسائل، أما الغايات فهي قسمان: غاية ترتجى من كل فن، وغاية عامة ترتجى من جميع الفنون، لا فرق بين فن وآخر.

أما الغاية التي يسعى إليها كل متعلم من أي فن والتي هي الأصل من تعلم ذلك الفن خاصة فهي الملكة، فهو لذلك يقول عن ابن هشام «مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من

تأليف رجل من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها «العربية» أنه استولى على غاية من ملكته». وفي موضوع آخر يقول: « فالمملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات»، وفي موضوع آخر يقول: «وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم»، فنحن نرى كما ذكرنا أن الغاية عند ابن خلدون من تعلم أي فن إنما هي حصول الملكة في ذلك الفن.

وأما الغاية التي يسعى إليها المتعلم بصفة عامة، أي متعلم كان في أي فن من الفنون، فهي حصول الفضيلة، وفيها يقول مبينا نتائج الشدة «وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين»، فالغاية من التعليم أو كما نسميه نحن الثقافة هي الفضيلة والإيغال بالنفس في إنسانيتها أي ما نسميه نحن بالمثل التي يسعى إليها الإنسان من ثقافته وتكوينه.

تلك هي الغايات القريبة والبعيدة عن ابن خلدون من الثقافة، وأما الوسائل لذلك فيعرضها ابن خلدون عرضا كافيا، غير أنه يعرضها عرضا مختلفا ما بين إيجاب وسلب أو ما بين مرغوب فيه كوسيلة للتعلم ومرغوب عنه كوسيلة للتعلم أيضا، وهكذا قسمنا رأي ابن خلدون في هذه الناحية إلى قسمين:

قسم عرضنا فيه الأشياء التي رفضها ابن خلدون كوسيلة من وسائل التعليم .وقسم عرضنا فيه الأشياء التي يقترحها أو يرى حتميتها كوسائل للتعلم.

وبدأت بالقسم الأول الذي رفضه ابن خلدون، باعتبار أن ابن خلدون لم يكن بادئ ذي بدء يريد أن يقترح منها ما، وإنما كان يهدف بنفس المناهج والطرق التي كان يرى فسادها كوسائل للتعلم، فجره ذلك لأن يقترح أشياء يقترحها الناقد المنصف الذي لا يمس بالنقد قضية من القضايا حتى يأتي بمثلها أو بأحسن منها، وهكذا بدأ ابن خلدون فرفض كوسائل للتعلم

**كثرة التأليف:** اعلم أنه مما أخرج بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها فابن خلدون كما نرى يجعل التعليم وسيلة لا غاية في ذاته يفني فيه المتعلم العمر، وابن خلدون من جهة أخرى إنما ينتقد كثرة التأليف لأنه ينشأ عنها اختلاف في الاصطلاح وعن الاختلاف في الاصطلاح وعن الاختلاف في الاصطلاح ينشأ أمر ثالث هو تعدد الطرق مع مطالبة المتعلم باستحضار ذلك كله من اصطلاحات لمختلف المؤلفات وطرق هذه المؤلفات مع أن النتيجة واحدة هي الحصول على العلم مهما اختلفت الطرق الموصلة لذلك، وهكذا يمضي المتعلم العمر كله دون أن يحصل على صناعة واحدة وبذلك تضيع الغاية من التعلم التي هي إدراك العلم الذي هو الغاية لا وسائله الموصلة إليه من طرق واصطلاحات لمختلف المؤلفات وطرق

هذه المؤلفات مع أن

النتيجة واحدة هي الحصول على العم مهما اختلفت الطرق الموصلة لذلك، وهكذا يمضي المتعلم العمر كله دون ان يحصل على صناعة واحدة وبذلك تضيع الغاية من التعلم التي هي إدراك العلم الذي هو الغاية لا وسائله الموصلة إليه من طرق واصطلاحات، ويعطي ابن خلدون أمثلة صريحة لفساد هاته الطريقة، فأما كثرة المؤلفات فيقول عنها: «ويمثل لذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة وما كتب عليها من الشروح الفقهية مثل كتاب ابن يونس وابن بشير والتنبيهات»، وأما تعدد الطرق فيقول عنه «ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله»، ومثل ذلك عن طرق البصريين والكوفيين في النحو مما يسوقه ابن خلدون كشواهد على فساد هذه الطريقة، مع أن الفقه في جوهره واحد مهما اختلفت الطرق الموصلة إليه، وكذا النحو وكل أنواع العلوم الأخرى

**كثرة الاختصار :** وكثرة الاختصارات من الوسائل التي ينتقدها ابن خلدون كوسائل للتعليم وفي هذا يقول: « ذهب كثير إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونونها برنامجا مختصرا في كل علم» إلى أن يقول : « صار ذلك مخلا بالبلاغة وعسر على الفهم». إذن فابن خلدون يرى أن هذه الطريقة إنما جاءها الفساد من كونها تعرض العلوم في عبارات عسيرة الفهم مما يؤدي إليه الاختصار عادة، ولذلك يفسر السبب في فساد هذه

الطريقة « طريقة الاختصار» بقوله: « ثم فيه مع ذلك شغل كبير بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها» إلى أن يقول: لأن الألفاظ المختصرات تجدها لذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت»، وأما الأمثلة التي يعطيها ابن خلدون في هذه الناحية وفساد منتحليها فيقول فيها: « كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربية «النحو»، ولا ينسى ابن خلدون أن يذكر أن النتيجة فيما فعله هؤلاء المختصرون جاءت عكس ما قصدوا، فهم يريدون كما يقول أن يسهلوا الحفظ على المتعلمين فكانت النتيجة أن أركبهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات، أي أنهم أبعدهم عن المقصود من حيث أرادوا التقريب.

**التحذير من البداية بالمسائل المقللة:** ومن المسائل التي يحذر منها ابن خلدون ويجعلها كوسائل يجب تجنبها في التعليم البداية بالمسائل المقللة، ذلك أن المتعلم في بدايته يكون غير متفتح للتعليم فلا يستسيغ الأشياء العامية فأحرى به أن يدرك هذه الأمور المقللة، وكل ذلك إنما يسوقه ابن خلدون في شكل نقد لما يسير عليه بعض المعلمين «وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركناه يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقللة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها». ولكل شيء عند ابن خلدون علة وسبب فحتى هذه الطريقة يعلل ابن خلدون فسادها بان التعلم إنما يكون

بالتدرج أولاً وذلك أمر طبيعي من التعلم جرت عليه عادة المتعلمين، لما يوجبه أمر التدرج أولاً ولأنه يؤدي إلى إغلاق الذهن إذا أقيت المسائل في الأوائل جملة واحدة. **عدم الاختصار على كتاب واحد:** ومن الوسائل الفاسدة في التعليم في رأي ابن خلدون أن يزيد المعلم متعلمه، إن صح التعبير، على فهم الكتاب الذي أكب على التعلم منه، وذلك عنده قسمان: إما الزيادة على ما في الكتاب من مسائل من حيث الموضوع، وإما الأخذ من جهة أخرى غير الكتاب الذي يدرسه ولو أنها تتشابه مع ما في الكتاب من حيث الموضوع؛ فالمهم عند ابن خلدون الاختصار على الكتاب الواحد من حيث الطريقة والمضمون.

**تطويل الجلسات:** ومن الوسائل التي ينتقد ابن خلدون اتخاذها كأساليب في التعليم، تطويل الجلسات وإعطاء الدروس مفرقة، والعلّة في ذلك كما يذكر أن تفريق الدروس يؤدي إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن عن بعضها البعض، لأن الملكات كما يقول إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وكان طبيعياً أن يقول ابن خلدون بهذه النظرية، فبعدما قال بالبده في التعلم بالمسائل المجملّة جره ذلك إلى القول بتتابع الجلسات في التعلم وإلا فإن المطولات لا يناسبها مثل هذا الأسلوب في جميع الجلسات العلمية.

:دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات  
الجامعية، الجزائر، 2000.

:أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة :  
النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994

:المقدمة، تحقيق :خليل شحادة، دار الفكر،بيروت، لبنان، ط1

1998

:الخصائص، تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2003

:نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة تطبيقاتها وانتشارها، أشغال  
السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق "

سيبويه :الكتاب، تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003

:حوار مع الذات، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 2000

أحمد درويش :إنقاذ اللغة، إنقاذ الهوية، تطوير اللغة العربية، نهضة مصر للطباعة والنشر  
2006

أحمد شامية :في اللغة، دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار  
البلاغ للنشر والتوزيع 2002.

للغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، دار  
بيروت، لبنان، 1982 :

ابن حويلي الأخضر ميدني :المعجمية العربية، في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات  
التربوية الحديثة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تحقيق :عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية  
بيروت 2003

خولة طالب الإبراهيمي :مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، دط، 2006

عبد الله واثق شهيد : تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي، مجلة مجمع  
اللغة العربية بدمشق، العدد 79 3

:تداخل الفصحى والعامية وأثرها في تعلم وتعليم العربية، أعمال اليومين  
الدراسيين حول "تعليمية اللغات " قضايا وتساؤلات مجلة اللغات لكلية  
2004

## خاتمة:

أمّا وقد وصلنا إلى ختام هذه المذكرة، نستخلص مما سبق أنّ التعددية اللغوية أو التعدد اللغوي ظاهرة طبيعية في كل الأقطار، وعلى الرغم من انتشارها في الجزائر بشكل أوسع، إلا أنها تبقى مجرد ثراء لغوي ثقافي من شأنه أن يرقى باللغة إذا ما استعمل بشكل عقلاني وواعي، خاصة وأنّ كلا من الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية خصمان عنيدان للغة العربية الفصحى، ويشكلان خطراً عليها ، وعليه يمكن أن نخلص أهم نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

1) تضرب التعددية اللغوية بكل أنواعها في جميع المجتمعات بما في ذلك المجتمع الجزائري الذي استفحلت فيه هذه الظاهرة بشكل عميق ومثير للجدل.

2) تعد الازدواجية اللغوية من أهم أشكال التعدد اللغوي وأخطرها ويكمن ذلك من خلال مزاحمة العامية الفصحى في جميع ميادين الحياة ، إذ أنّ نشأة العامية جاءت نتيجة لأسباب كثيرة منها الاجتماعية ، السياسية والتاريخية، وتجدر الإشارة منا إلى أنّه لا وجود لعامية موحدة في كامل القطر الجزائري، بل هي عاميات كثيرة تختلف باختلاف الرقعة الجغرافية.

3) تنتشر العامية الجزائرية في الأوساط الشعبية بشكل أوسع مقارنة باللغة العربية الفصحى، وذلك لأسباب منها تعود الأفراد على استعمالها.

4) تعد اللغة الفرنسية باعتبارها اللغة التي تعكس الثنائية اللغوية من أكثر المستويات اللغوية انتشاراً عند الجزائريين، وذلك بحكم التواجد الاستدماري وسياسة المصادفة إلى اجتثاث اللغة العربية.

5) تنتشر اللغة العربية بصفة مكثفة في الأوساط الجامعية وذلك لكونها لغة التخصصات العلمية والتقنية، خاصة في ظل غياب نموذج ناجح لتعريب التعليم الجامعي.

6) تعكس ظاهرة التعددية اللغوية آثاراً سلبية تعم جوانب الحياة المختلفة بما في ذلك شخصية الفرد وحياته.

7) النهوض باللغة العربية الفصحى لا يكون إلا بالحد من ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية اللتان تزاحمان الفصحى، وتقفان في وجهها كحجر عثرة، وتمنعانها من التطور ومسايرة الحاضر والمستقبل، واستحداث برامج تنموية من شأنها ترقية الواقع اللغوي العربي عامة والجزائري خاصة.

وفي الختام أتمنى من صميم قلبي أن تأخذ السلطات المعنية أمر هذه الظاهرة بعين الاعتبار لكون الوضع المزري الذي تعيشه اللغة العربية الفصحى لا يبشر بخير.